أبحاث ندوة عمارة المساجد، م ٥ أ, ص ص ١-٣٠، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

المسجد كمؤسسة إسلامية بين الثوابت والمتغيرات

علي محمد عبد الله الصاوي

كلية الهندسة، جامعة القاهرة

القاهرة, جمهورية مصر العربية

ملخص البحث: المسجد كمؤسسة إسلامية هو الصياغة الفراغية المكانية للرؤية الإسلامية الشاملة التي تحكم حركة ونشاط الإنسان على الأرض وتصوغ رؤيته للكون والخلق وإدراكه للجوانب المعرفية المختلفة ومن ثم فلقد جسد آمال وطموحات ووجدانات الجماعة المسلمة منذ نشأتها في مجتمع منتظم بعد الهجرة حيث شيد الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج الأول للمسجد/المؤسسة. عبر هذا النموذج, الأول تشكلت الملامح الرئيسية لهذه المؤسسة ممثلة في وظائف ثلاثة: الجانب التعبدي والجانب المجتمعي والجانب السياسي/التشريعي. ولقد تحورت مع تعاقب العصور هذه الوظائف واتخذت مواقف مختلفة من الاستمرارية الغالبة فيما قبل القرن التاسع عشر إلى الانقطاع والتحول الجذري عبر سيطرة مفاهيم جديدة على الفكر العالمي في القرنين الأخيرين حيث فقد المسجد دوره المؤسسي وانحصر في الجانب التعبدي كمكان لتأدية الفرائض وهنا خسرت المجتمعات المسلمة الركيزة التي كانت ترسخ من تماسكها وتوجه قدراتها الإبداعية إلى غايتها.

ولقد حدثت محاولات عديدة في العقدين الأخيرين لإعادة الوظائف الغائبة إلى المسجد/المؤسسة وفي إطار هذه الرغبة يأتي هدف البحث كمحاولة لتوجيه هذه الإسهامات من خلال رصد وتقييم هذا المفهوم وتطبيقاته والتركيز على الدور المتحول له عبر العصور.

يخلص البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات تطرح من خلالها محاور لتنشيط وتفعيل دور الوظائف الرئيسية التي شكلت المسجد/ المؤسسة لتستوعب المتغيرات المعاصرة ولإحياء دوره كمحور لحركة حياة الجماعة المسلمة.

المقدمة

المسجد كمؤسسة إسلامية يمثل الصياغة العمرانية المعمارية التي جسدت منظومة متكاملة من الأنساق الثقافية والاجتماعية والسياسية شكلها الدين الإسلامي برؤيته المتكاملة والشاملة للحياة والمعرفة بجوانبها المتعددة بل ولحركة الكون وظواهره ولموقف الإنسان من هذه الأنظمة والكيانات المرئية والغيبية.

وفي نموذجه الأول-في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة تشكلت الملامح الرئيسية التي تمثلت في جوانب ثلاثة-الجانب التعبدي والجانب المجتمعي ثم الجانب السياسي/التشريعي. ولقد تحورت مع مرور الوقت هذه الوظائف واتخذت مواقف مختلفة اتصفت بالتكامل والتواجد الفاعل على فترات طوال (الاستمرارية) وإن شابها بعض التغير ثم حدث الانقطاع والتحول الجذري في فترة الانقطاع بعد سيطرة مفاهيم جديدة وأخيراً حدثت محاولات عديدة لإعادة هذا المفهوم من جديد في مناطق عديدة من العالم الإسلامي.

مباني العبادة

مبنى العبادة هو نوعية من المباني نشأت في إطار ديني وثقافي ومجتمعي عبر سياق تاريخي معين على مستوى جميع التجمعات البشرية منذ تواجدها. ثم تطور المبنى ليستوعب التغيرات والتحولات الحادثة والمغيرة لهذه الأطر الثقافية والاجتماعية، وفى كل مرحلة تغييرية، وبعد كل استجابة لهذه التحولات تتحور الصياغة المكانية-الفراغية وكذا التشكيلية للمسجد. والمسجد كمؤسسة لكونه، في صورته الأساسية، ينتمي إلى هذه النوعية وإن أحتوى أبعادا أخرى تتعدى هذه الوظيفة المجردة. فإننا في محاولتنا لرصد هذا المفهوم ونشأته وتطوره وتحولاته عبر العصور، سوف نطرح إطارا أو رؤية نظرية للمباني النوعية كوسيلة للتحليل والتفسير والتقويم.

المباني النوعية

إن المبنى النوعي Building Type في صورته العامة هو صياغة مكانية فراغية وتشكيلية نشأ استجابة لاحتياج جماعي تشكل خلال نسق حدثي متكرر Pattern of Events استوعبه إطار مؤسسي Institutional عبر قضية معرفية نوعية نشأت بدورها من تغير أو تحول مفهومي شامل أو محدود. يقدم البحث رؤية عامة للملامح الرئيسية للطرح النظري الممثل في: الإطار المعرفي (الفكري) الحاكم، التغير والتحول، السياق التاريخي، القضايا المعرفية النوعية، المؤسسات، الاستجابة المعمارية العمرانية.

الإطار المعرفي (الفكري) الحاكم Paradigm

المفهوم للاطار الحاكم يعرف بأنه "الإطار الذهني المرجعي للجماعة ذات الخصائص الثقافية المشتركة-والذي يوجه ويصوغ التوجهات والأنشطة الإبداعية والتشكيلية لهذه الجماعة." وحيث لا يستطيع المفهوم القائم أن يحتويها أو يطرح تفسيرا ومردودا إيجابيا كافيا لهذه الإشكالية، تتحرك الجماعة أو (الأقلية المبدعة) من أجل طرح رؤية بديلة ومن ثم إطار فكرى جديد يمتلك مقومات الحل والتفسير لهذه المشكلة حيث تبدأ الدورة الجديدة من اجل الصياغة النهائية. [٢، ص٤٨]

التغير والتحول

التغير من سنن الحياة فهو السبيل إلى بقائها ونموها. فمنذ وجدت التجمعات البشرية وهى فى تغير دائم، وتختلف الاستجابة لهذه التغير من جماعة لأخرى وكذا بمدى قوة السبب التغييري فكلما اقترب من ثقافة هذه الجماعة كان تغييرا شاملا لأنه تغير إنساني بالدرجة الأولى ولأن الحضارة أو الثقافة حينما تتغير إنما تعمل على تغيير الإنسان نفسه. [٣، ص١٧]

وهناك أسباب عديدة لأحداث التغير سواء على مستوى المفهوم الحاكم أو التغيرات والتحولات فى المفاهيم النوعية:

أولاً: أسباب حضارية اجتماعية Socio-Cultural

وهذه النوعية تؤثر بشكل شامل لأنها تصب مباشرة في المفهوم الحاكم للجماعة ذات الخصائص الثقافية المشتركة.
ثانيا: الاحتكاك الحضاري

ويؤثر كذلك بصورة شمولية على الجماعة الأقل تقدما ومثال لذلك سيطرة النموذج الغربي على المجتمعات التقليدية في القرن التاسع عشر والعشرين وتأثيرها على الصياغات المعمارية. أما الاكتشافات والمخترعات الحديثة فقد تكون أقل تأثيراً على المفهوم الحاكم للجماعة بيد أنها يمكن أن تؤثر بصورة كبيرة على ظهور نوعيات جديدة من المباني وكذلك على الصياغات التشكيلية.

السياق التاريخي

والمقصود به طرح رؤية معينة للتاريخ تمكننا من رصد التحولات الحادثة على المفاهيم والصياغات محل البحث. ونرتكز هنا على التحول الأكبر عالمياً والمتمثل في سيطرة مفهوم الحداثة Modernism والذي أثر جذرياً على حركة التاريخ والفكر عامة على الصعيد العالمي وكذا في البلدان الإسلامية. ومعنى ذلك أن نرصد حركة التاريخ إلى ما قبل الحداثة ثم فترة الحداثة ثم فترة ما بعد الحداثة:

أ- ما قبل الحداثة: حيث سيطرة المفاهيم والرؤى الدينية (الدين والعقيدة كمفهوم حاكم) في بلدان العالم بصورة متفاوتة وعلى مستوى دول العالم الإسلامي وتأثير ذلك على حركة العمارة والعمران ونوعيات المباني.

ب- فترة الحداثة: حيث تمكن المفاهيم المادية وتهميش المقومات اللافيزيقية والوجدانية وسيطرة مبدأ البراجماتية (النفعية) على الحياة والأنشطة الإبداعية بصورة كبيرة الأمر الذي كان له اكبر الأثر على صياغة عمران وعمارة القرن العشرين في العالم ومن ثم على نوعية للمباني.

ج- ما بعد الحداثة: وهى الفترة التي بدأت عالمياً في الستينات كمراجعة لمفاهيم الحداثة ولعلاج الأزمات التي أر دفتها وكان من السمات الرئيسية لهذه الفترة العودة إلى المفاهيم التقديسية للتراث. وإعادة الاعتبار للمقومات الميتافيزيقية وكذا لدور الدين كإطار لحركة حياة المجتمعات والأفراد، الأمر الذي كان له انعكاساته الواضحة على المجتمعات المسلمة.

القضايا المعرفية (المفاهيم النوعية)

وتمثل الاستجابات النوعية لتأثير التغير فى المفهوم الحاكم على الأطر المعرفية المختلفة (ثقافياً/اجتماعياً/اقتصادياً). وكمثال على ذلك ما حدث من تحول جذري في العقيدة في فترة إخناتون من التعددية إلى الوحدانية حيث أردف مجموعة من القضايا النوعية[٥، ص١٧]:

أ- احتماعيا: كانت المساواة بين فئات الشعب وإلغاء النظام الطبقي واختفاء طبقة الكهنة الأمر الذي وضح تأثيره على المعبد في انفتاحه. واستخدام جميع فراغاته الرئيسية من جميع فئات الشعب.

ب- سياسياً: حيث أزالت الرؤية الجديدة للدين عن الفرعون صفة الألوهية التي كان يدعيها وأصبح داعية ملكاً مما سمح بقدر واضح من المشاركة في الحكم لفئات الشعب وخفوت صوت الديكتاتورية.

ت- ثقافياً: تحررت المخيلة الجماعية من القيود والغموض الذي فرض كهنوتياً وأصبحت الكتابات تتناول موضوع الإله الواحد في السماء، الواضح الجلي في خلائقه، فكانت الحرية الفكرية.

المؤسسات

وتمثل الوسيط الناقل للقضايا المعرفية من مجرد المبدأ والمفهوم إلى الواقع التطبيقي والتجسيد الفيزيقي، أي الكيان المنظم الذي يعكس الاحتياج الجماعي، فالمسجد/المؤسسة أو الجامع هو مؤسسة تجسد مفهوم الدين كإطار ومقوم تتمحور حوله الأنشطة الجماعية والسياسية واليومية للمجتمع بكل طوائفه. وكذلك المحكمة أو دار القضاء تمثل تجسيدا لمفهوم العدل والرؤية الحاكمة لعلاقة الناس بالدولة والقانون.

الصياغة المكانية، الفراغية، التشكيلية، الإستجابة

المبنى النوعي كصياغة تشكيلية وفراغية يمثل الإستجابة الفيزيقية Physical configuration للنسق المتكرر للأحداث Pattern of events الناشئة عن القضايا المعرفية النوعية والمصاغة عبر فكر المؤسسات الناقلة لهذه القضايا، ويمكن تحليل هذه الاستجابة إلى:

أولاً: الإطار العمراني. وتتمثل في علاقة المبنى بالمحيط العمراني.

ثانياً: قانون التشكيل العام (النهج التصميمي) للمبنى Basic Morphological Order. ويمثل الفكرة الرئيسية للمبنى والتي تكشف عبر:

أ- وحدة التشكيل الرئيسية

ب- التوجيه

ت- المركزية

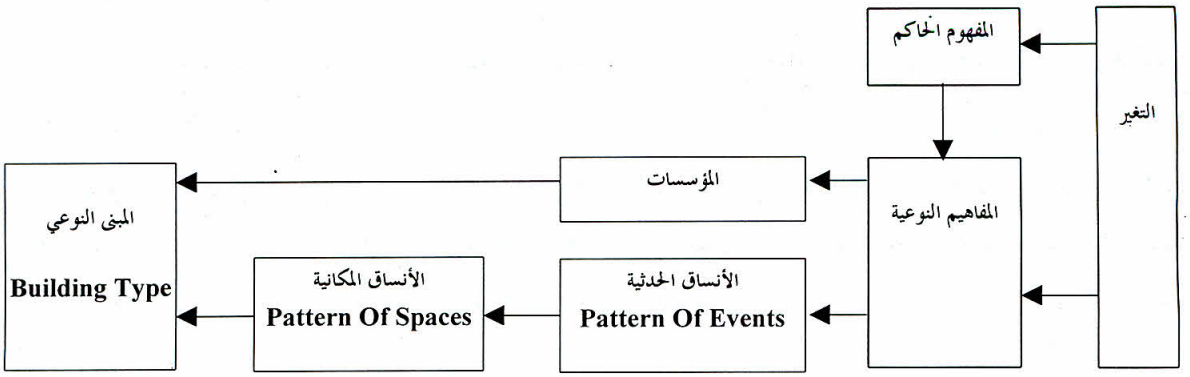
ث- تأكيد الأفقية أو الرأسية

ج- تنظيم الفراغات

ح- استخدام المواد الإنشائية والمغلفة

وذلك جميعه من خلال الدراسة التحليلية للمسقط والقطاع والتفاصيل التشكيلية

المسار الدينامي لظاهرة نشوء وتطور المبنى النوعي. تنتظم العناصر المطروحة في الإطار النظري عبر نسق معين نقدمه في شكل مسار لتتابع حدثي (شكل ١) :



شكل ١: المسار الدينامى لظاهرة نشوء وتطور المبنى النوعي.

أولاً: يحدث التغير أو التحول كاستجابة للأسباب (الثقافية/الحضارية (السياسية/العلمية/المخترعات..) والذي يختلف تأثيره حسب السبب ومدى ومجال تأثيره.

ثانياً: وهذا التغير أما أن يكون جذرياً فيؤثر على المفهوم الحاكم فيصبح تغيراً مفهومياً Paradigm shift ومن ثم يؤثر بعد ذلك بشكل شامل على كافة القضايا المعرفية (المفاهيم النوعية) وإما أن يكون تغيراً محدود التأثير (مخترعات، نقلات علمية..) ويشمل بعضاً من القضايا المعرفية فقط.

ثالثاً: هذا التغير المفهومي (بمساريه) إما أن يردف تأثيراً عميقاً فتتشكل مجموعة من المؤسسات Institutions كوسيط ناقل للقضايا الجديدة التي بدورها تحول هذا التغير إلى مبنى نوعي (استجابة مباشرة). وأما أن يتحول التغير في القضايا المعرفية بشكل غير رسمي إلى تأثير مباشر على الجماعة المعاصرة فتنشأ مجموعة من الأنساق الحدثية Pattern of Events التي بدورها تتحول إلى أنساق مكانية Pattern of Spaces or Places ينتج عنها المبنى النوعي.

المسجد/المؤسسة

نتناول في هذا النقاش المسجد/المؤسسة كمفهوم وكتطبيق (صياغة عمرانية ومعمارية) منذ نشأته كبداية (مسجد الرسول ﷺ بالمدينة كنموذج أول) ثم تطوره وتحولاته عبر الحقبات المختلفة بتعاقب الخلافة الإسلامية. ويتم هذا التناول من خلال الإطار النظري المطروح في النقاش السابق لدراسة النوعية (Typology) للمباني العبادية العقائدية (بيت الله) وذلك عبر ملامحه الرئيسية (المفهوم الحاكم والتغير، القضايا المعرفية والمفاهيم النوعية، الاستجابة العمرانية، السياق التاريخي) والتي نتناولها بالتفصيل كالآتي:

التغير في المفهوم الحاكم، ونشأة المسجد/المؤسسة

المسجد/الجامع يمثل استجابة-بشقيها الفيزيقي والمفهومى-لرؤية شاملة للمعرفة والحياة بجوانبها المتعددة بل ولحركة الكون وظواهره وموقف الإنسان من هذه الأنظمة والكيانات المرئية واللامرئية.

وتلك الرؤية هي نتاج لتغير شامل وعلى قدر كبير من العمق تمثل في ظهور الإسلام وتمكنه كدين ينظم حركة الحياة في المجتمع المسلم ويطرح إطاراً واضحاً وتفسيراً لكل الكيانات والمستويات المعرفية المختلفة، ومن ثم فلقد كان سبب التغير دينياً وإن شمل كل الجوانب الأخرى حيث ينفرد هذا التغير بالشمولية والعمق، الذي يفسر كالآتي:

أولاً: شمولية وعمومية التغيير. وذلك أنه بالرغم من كونه تغيرا دينيا إلا أنه قد شمل كل المفاهيم النوعية (القضايا المعرفية) الأخرى على المستوى الثقافي/الحضاري والسياسي، المجتمعي/والفردي. فكان إعادة صياغة للعقلية الإنسانية وللمخيلة الجماعية بأنماطها وأنساقها بصورة عامة.

ثانياً: عمق التأثير. ويتمثل في أن الدين الإسلامي كرسالة هو إطار يحكم حركة الفرد في علانيته وسره، في أنساقه الحياتية المعيشية وفى علاقته بالكيانات التي حوله بدءاً من الأسرة إلى الجماعة المسلمة ككل ثم هو يحكم علاقة هذه الجماعة بالجماعات الإنسانية الأخرى. ومن ثم فهو دستور وتشريع شامل بجانب انه إطار يصوغ وجدان المسلم ويشكل المخيلة الإبداعية للفرد والجماعة.

المفاهيم النوعية (القضايا المعرفية) في النموذج الأول مسجد الرسول

يمثل مسجد الرسول ﷺ بالمدينة الاستجابة الأولى والواضحة أو النموذج الذي يستوعب مفهوم المسجد الجامع/المؤسسة. حيث جسد المفهوم الإسلامي أو الرؤية المطروحة عبر الدين الجديد لجميع الأنشطة المجتمعية والفردية. وبصورة عامة فإن الوظائف أو الأنشطة التي جسدها هذا المسجد (أعمال مسجد الرسول ﷺ) تمثلت في ثلاثة جوانب رئيسية:

١-الجانب العبادي/الروحاني: ويتمثل في أداء الصلاة المفروضة في الجماعة وكذا النوافل ثم الذكر وقراءة القرآن والاعتكاف تقرباً إلى الله وتطهراً وتزكية للنفس المسلمة.

٢-الجانب المجتمعي: ويضم معظم الأنشطة اليومية الجماعية للمجتمع. التعليم والتعلم، الطب والعلاج، القضاء وحل المنازعات أي الأنشطة اللانفعية Non Profitable أو الخدمية وكذا استضافة الوفود الداخلة في الإسلام والراغبة في تعلم دينها.

ويمكن تحديد هذه الوظائف كالتالي:

أولاً: التعليم والتعلم (أمور الدين وكذلك علوم الحياة النافعة)

ثانياً: الطب والعلاج والاستشفاء خاصة للمقاتلين

ثالثاً: القضاء والفصل في المنازعات بين الأفراد والجماعات

٣-الجانب السياسي و إدارة أمور الدولة: حيث مثل المسجد/المؤسسة دار الحكم ومقر الحاكم والمداولات واتخاذ القرارات المتصلة بتوجيه الدولة المسلمة الناشئة وكذا إصدار البيانات والتشريعات وتوجيه الجيوش للجهاد وحماية الدولة وكذا كتائب الدعوة.

تلك هي الوظائف الرئيسية التي شكلت كيان المسجد/المؤسسة كنموذج أول (مسجد الرسول بالمدينة). والتي على أساسها سيتم تقييم فعالية دور هذا المفهوم وتحولاته أو انعكاساته في الفترات المتعاقبة لتاريخ الدولة الإسلامية.

الاستجابة العمرانية والمعمارية (للمسجد الجامع/المؤسسة)

الاستجابة العمرانية

إن استقرار منشأة (صياغة فراغية ومكانية) في موضع وموقع ما إنما يمثل استجابة لقوى عديدة ناشئة عن تفاعلات وأحداث متكررة تضم النشاط، وثقافة الجماعة وكذا طبيعة المكان نفسه (البيئة المحيطة) أي تفاعل هذه الجماعة مع منتجاتها الثقافية وإمكانياتها وارتباطاتها التاريخية بالمكان وخصائصه الفيزيقية.

وبصورة عامة فإن الصياغة المكانية والفراغية واستقرارها في موضع ما وعلاقتها ببقية عناصر العمران والبيئة المحيطة -في المجتمعات التقليدية (ذات العمق التاريخي والخصوصيات الثقافية)- تتعدى كثيراً كونه مجرد قرار تصميمي أو تخطيطي فردى أو جماعي بل هو حصيلة تراكمية لمجموعة من الجهود الفردية والجماعية عبر فترات من الزمن وخلال استمرارية واتفاق جماعي على رؤية موحدة. لذا فإن المسجد/المؤسسة بما يحمله من أبعاد ذات عمق سياسي، ثقافي، اجتماعي، فردى ومجتمعي وعبر هذا التعامل الحي مع الجماعة المسلمة الناشئة كتجسيد لآمالها ووجدانها، لابد وأن يأتي في القلب الحي والنابض للعمران (المركز) وعبر المحور الرئيسي وخلال الساحة الرئيسية الجامعة. ولقد مثلت هذه الخاصية الاعتبار الأول في نشأة جميع المدن الإسلامية في فتراتها المتعاقبة فيما قبل تمكن مفاهيم الحداثة والتحولات الجذرية المصاحبة لها. ففي مجتمع المدينة أخذ المسجد الجامع موقعاً متوسطاً من العمران وبالرغم من دخوله على مجتمع قائم فلقد تم إعادة هيكلة هذا المجتمع ليلتف ويتمحور حول المركز الجديد فتحول القلب النابض من السوق إلى المسجد الجامع/المؤسسة (شكل ٢-٤).

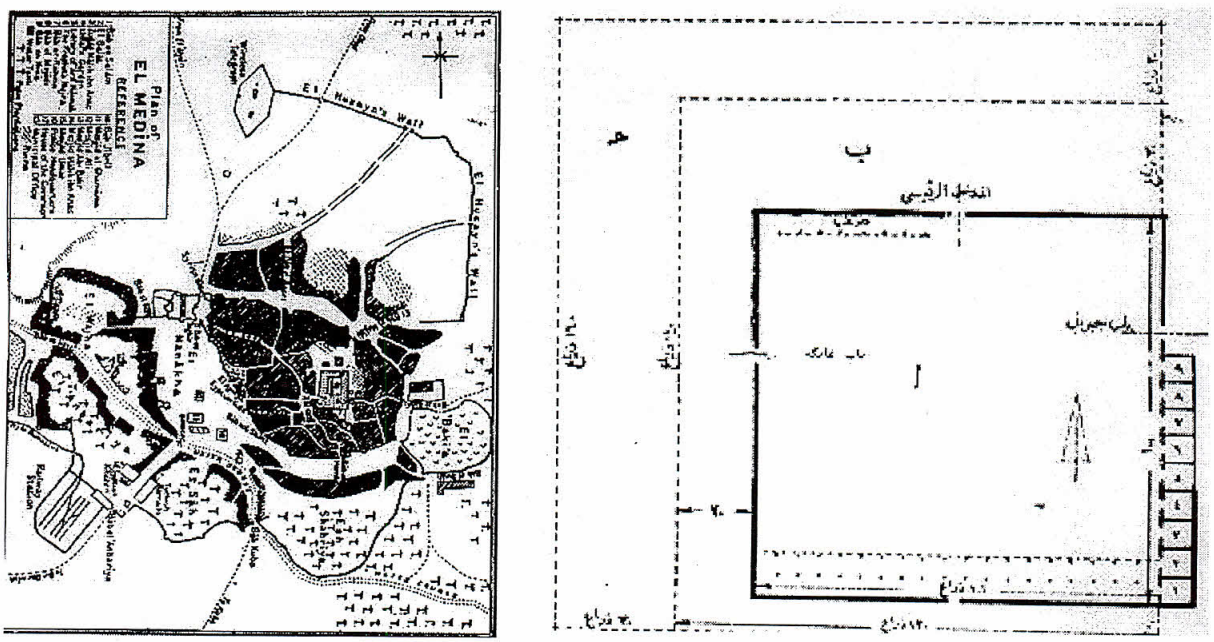
وفى المدن الإسلامية التي نشأت كعواصم للبلدان التي فتحت بعد ذلك (الفسطاط/البصرة/الكوفة/القيروان/بغداد) تأسس المسجد أولاً ثم التف حوله العمران وانتظمت حوله الأنشطة والاستخدامات الأخرى في تشكيل مركزي في معظم الأحيان (شكل٥-١٤).

الاستجابة المعمارية/التشكيلية

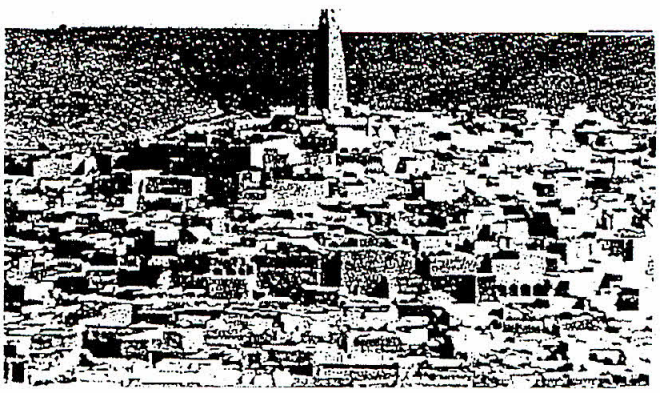
فى صورته الأولى، جاء تشكيل مسجد الرسول ﷺ بسيطا من خلال الفراغ الشامل المغطى فى بعض أجزائه (رواق القبلة) وحجرات بيوت زوجات النبي) والمفتوح للسماء فى معظم أجزائه الأخرى. فالأنشطة والأحداث الجارية هنا متوحدة ومتداخلة عبر الفراغ الواحد الشامل الذي يستخدم عنصر الوقت للفصل بصورة ما بين الاستخدامات أو الوظائف المختلفة، فالمسجد هنا مكان تحدد بسور ليفصل المقدس عن الشتات وليتولد من خلاله الانتظام الجديد للعمران وللنشاط والأحداث. وكعادة النتاج الطبيعي للتغير أو الفكر الجديد تأتى الصياغة بسيطة وواضحة تتعدى أبعادها الميتافيزيقية (المعنى) الأبعاد الفيزيقية (المبنى).

التحولات فى المفهوم والتطبيق للمسجد/المؤسسة (السياق التاريخي)

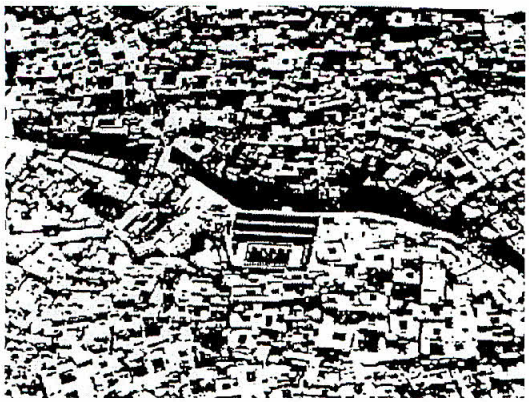
التغيرات الحادثة في المسجد/ المؤسسة كمفهوم وكتطبيق تفاوتت من مجرد الصياغة العمرانية للأنشطة والوظائف المختلفة إلى التحول الكامل وتفريغ هذا المفهوم المؤسسي للمسجد الجامع وانحساره إلى مجرد إقامة الشعائر العبادية. وبصورة إجمالية يمكن التقرير بأن التحولات والتغيرات التي طرأت على هذا المفهوم فى فترات ما قبل الحداثة والسيطرة الغربية هي مجرد محاولات للتعبير عن شمولية المفهوم كاستيعاب معماري عمراني للوظائف المختلفة. بينما فيما بعد تمكن فكر الحداثة ووقوع البلدان الإسلامية تحت سيطرة هذا الفكر ثقافيا وواقعيا تغير المفهوم وانقطعت الاستمرارية الغالبة وتحول المسجد كما ذكرنا إلى منشأة لتأدية الصلاة وبعض العبادات.



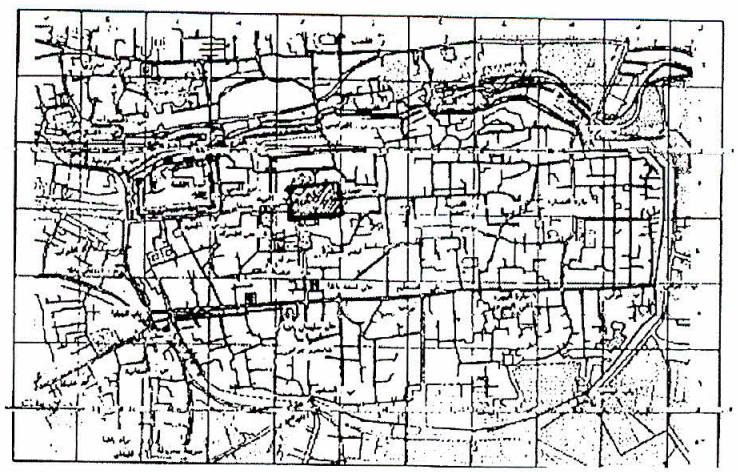
شكل ٢: المسقط الافقي لمسجد الرسول و مخطط المدينة المنورة.



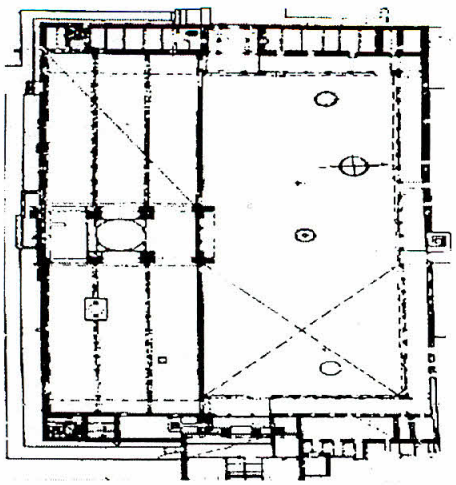
شكل ٣: مدينة بني يزقن، وادي ميزاب، الجزائر.



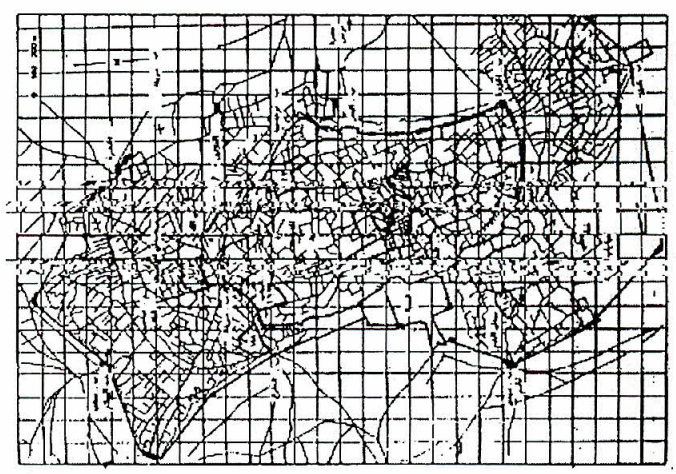
شكل ٤: مدينة فاس، المغرب.



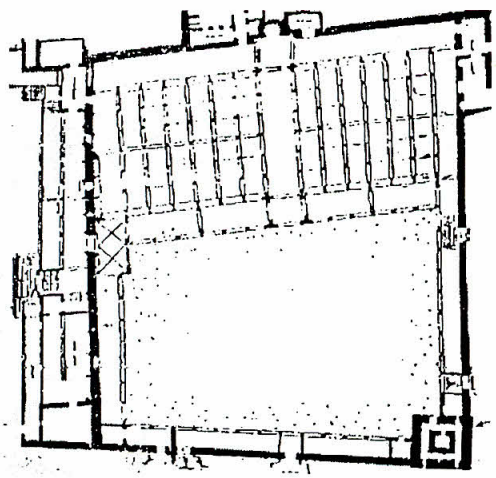
شكل ٥: مدينة دمشق، الجامع الأموي في مركز العمران.



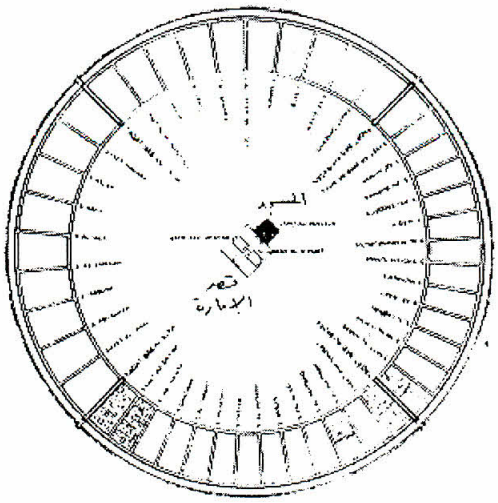
شكل ٦: مسقط أفقي للجامع الأموي.



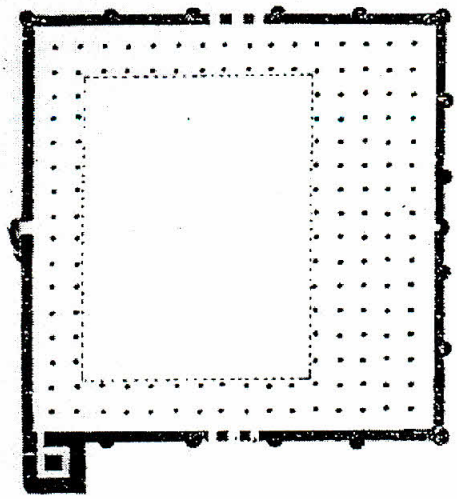
شكل ٧: تخطيط مدينة تونس وفي مركزها الجامع (الزيتونة).



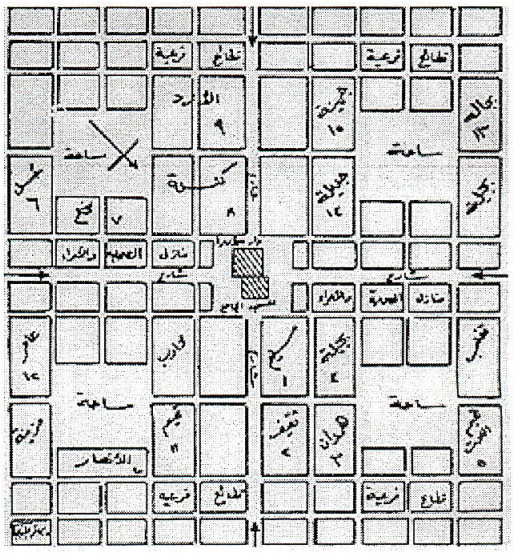
شكل ٨: مسقط أفقي للمسجد الكبير (الزيتونة).



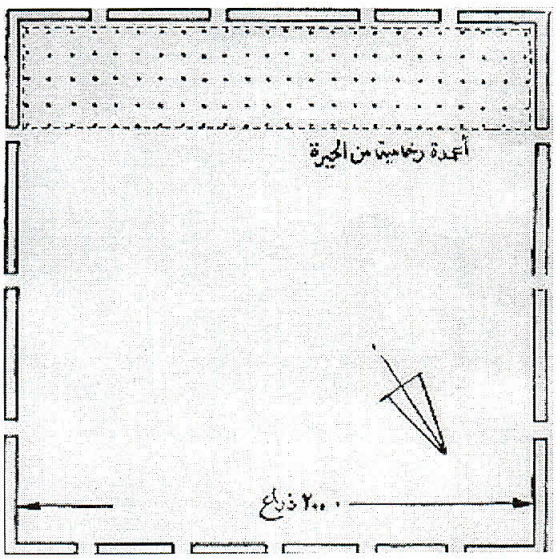
شكل ٩: تخطيط مدينة بغداد أيام الخليفة المنصور.



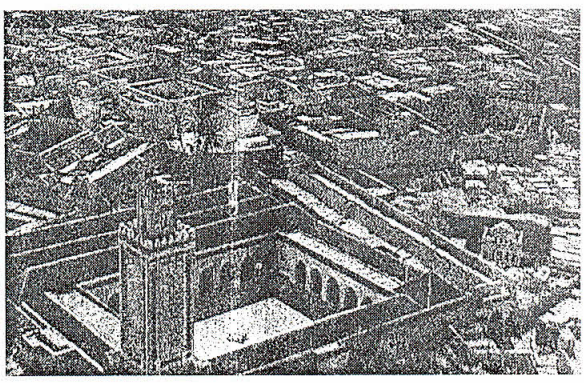
شكل ١٠: مسقط أفقي للمسجد، بغداد ١٩٣هـ.



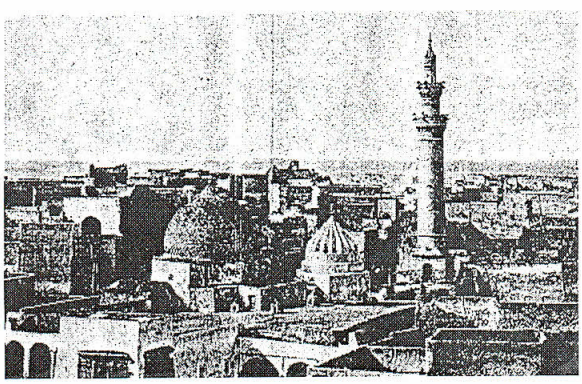
شكل ١١: مخطط مدينة الكوفة (تخيلي).



شكل ١٢: مسقط أفقي لمسجد الكوفة، ١٧هـ.



شكل ١٣: مدينة الموصل والمسجد الجامع.



شكل ١٤: مسجد القرويين (مراكش).

ثم حدثت في العقدين الأخيرين حركة المراجعة العامة لهذا الفكر عالميا، الأمر الذي كان له انعكاسه على المجتمعات المسلمة حيث صاحب هذه المراجعة (فترة ما بعد الحداثة) دعوة فى هذه البلدان إلى إعادة الاعتبار للدين وإذكاء العقيدة فى النفوس والتمكين للدين بصفته البوتقة التي ستصهر الخلافات وترسخ من تماسك الجماعة المسلمة فلا بديل من الارتكاز على العقيدة لأنها أساس التجمع وعمدة التربية.

ولقد كان الملجأ الرئيسي لهذه المحاولات هو إعادة تفهم فكر السلف الأول (عصر الصحابة والتابعين) والعكوف على استيعابه وفهم انساقه وأنماطه التي كان على رأسها مفهوم المسجد/المؤسسة. فحدثت محاولات عديدة لإعادة هذا المفهوم وتطبيقاته إلى المجتمع بإعادة الوظائف الغائبة عن المسجد الجامع خاصة الأنشطة المجتمعية الخدمية بعد أن اقتصر دوره لفترة ليست بالقصيرة على الجانب العبادي. هذه رؤية موجزة للتحولات التي اعترت مفهوم المسجد/المؤسسة عبر العصور المختلفة متراتبة على السياق التاريخي المطروح (ما قبل الحداثة، فترة الحداثة، ما بعد الحداثة أو فترة المراجعة). وكتفصيل لهذه التحولات عبر رؤية تطبيقيه فإننا سندرس التجربة المصرية خلال نفس السياق التاريخي.

تطبيقات من التجربة المصرية

يتناول هذا النقاش مفهوم المسجد/المؤسسة، كتطبيق على التجربة المصرية ذات الخصوصية الثقافية والرؤية الدينية المتميزة، وذلك خلال السياق التاريخي المطروح للبحث بصفة عامة وهو فترة ما قبل الحداثة/الحداثة/ما بعد الحداثة، وتأتى خصوصية التجربة المصرية فى:

أولا: الرؤية المصرية للدين بصورة عامة وتأثيره كمقوم رئيسي ومحوري فى صياغة العقلية والمخيلة الجماعية المصرية في عصورها المختلفة وكذا كصبغة عامة لجميع الأنشطة - والجوانب الإبداعية وتطبيقاتها ثقافيا وفنيا وعمرانيا، وخاصة بعد دخول الإسلام.

ثانيا: تواجد جدير بالرصد والدراسة لهذا المفهوم في فترات ما قبل الاعتناق المصري للإسلام (المعبد/المؤسسة).

ثالثا: التأثر المصري الواضح بالتغير المفهومي المرتبط بفكر الحداثة العالمي (الرؤية المصرية للحداثة) وتأثيره على المفهوم والتطبيق للمسجد/المؤسسة.

المسجد/المؤسسة فى مصر الإسلامية (ما قبل الحداثة Pre Modernism)

دخل الإسلام مصر فتفاعلت معه الشخصية المصرية وصبغها بصبغته فى رفق فاستحالت أنساقها ومخيلتها إسلامية عبر رؤية مصرية، وهكذا عادة الإسلام مع الأمم التي اعتنقته حفاظ على القيم الوجدانية والعادات التي لا تتنافى معه بل واذكاء لهذه القيم وتوجيهها للغاية الصادقة. وكانت التربة المصرية مهيأة لاستقبال هذه الصبغة بما فيها من حب للدين فأخذت العقيدة مكانتها في النفوس وصاغت الأنشطة المجتمعية فتبلور بصورة متميزة مفهوم المسجد المؤسسة (مسجد الرسول ﷺ) بوظائفه الأساسية وتعمقت هذه الركيزة وإن اختلف المردود العمراني المعماري فى

بعض تفاصيله مع تعاقب العصور والممالك الإسلامية المختلفة (على مصر). ولقد مثل (المسجد الجامع، المؤسسة) فى كل عصر من العصور المتعاقبة على مصر البيان الرسمي للخلافات الإسلامية (مصر كجزء من هذه الخلافة) فيأتي على رأس كل فترة من هذه الفترات المسجد الجامع (المؤسسة الرسمية) للخلافة فى قلب العاصمة المصرية الجديدة. الفسطاط (مسجد عمرو بن العاص)، العسكر والقطائع (مسجد بن طولون)، الفاطميون (الأزهر والحاكم)، الأيوبيون (المدارس الإسلامية الصالح طلائع، نجم الدين أيوب)، المماليك (السلطان حسن). سنطرح كنماذج مجموعة من هذه الأمثلة للمسجد الجامع/المؤسسة فى فترات تعاقب الخلافة الإسلامية على مصر فى عواصمها الفسطاط، القطائع والعسكر، القاهرة) خلال المنهج الآتي:

أولا: رصد وتوثيق (بصوره مختصره) وكذا التغيرات (إضافات، تعديلات) التي طرأت عليه (شكل ١٥-٢٠)

ثانيا: رؤية تحليلية عبر ما تم التوصل إليه فى النقاش الأول وتطويره فى النقاش الثاني على النحو التالي:

أ- التغير في المفهوم الحاكم، الرؤية المعاصرة للدين والعقيدة.

ب- القضايا النوعية (وظائف المسجد، المؤسسة، الجانب التعبيري).

- الجانب المجتمعي
  - (التعليم والتعلم (التدريس)
  - العلاج والاستشفاء
  - القضاء والفصل فى المنازعات
- الجانب السياسي والتشريعي وإدارة الدولة
  - الاستجابة العمرانية (علاقة المسجد بالمحيط العمراني)
  - الاستجابة المعمارية (على مستوى المسقط)
  - الاستجابة التشكيلية (التشكيل العام والتفاصيل المميزة)

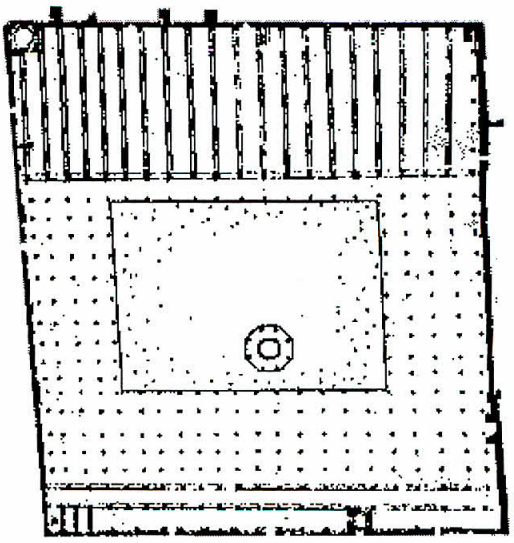
الرؤية التحليلية للمسجد/المؤسسة

ونتناول فيها التغير فى المفهوم (الانتقالة المفهومية) ورصد التحولات في الوظائف الرئيسية للمسجد.

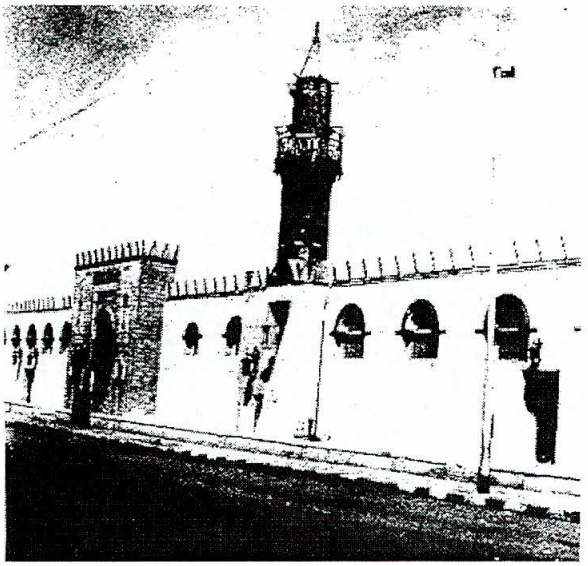
أ- الانتقالات المفهومية:

أولا: الخلافة الراشدة (الفسطاط)، مسجد عمرو بن العاص:

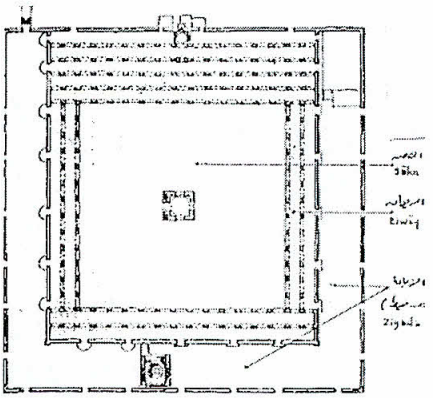
- العقيدة كإطار متكامل للحياة فردا وجماعة سرا وعلانية.
- فتح البلاد الإسلامية لنشر الدعوة كواجب ديني مقدس.
- الزهد والبساطة والمساواة بين الطبقات ووضوح المنهج ومرجعية العقيدة بين الحاكم (الأمير) والمحكومين وبين الفاتحين العرب وبقية المسلمين الداخلين فى الدين بعد الفتح.



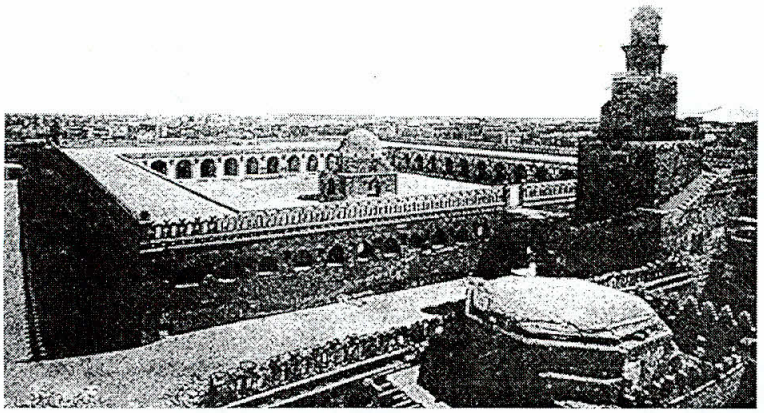
شكل ١٥: المسقط الأفقي لجامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق).[١]



شكل ١٦: الواجهة الشمالية الغربية (المدخل) قبل الترميم الأخير.



شكل ١٧: المسقط الأفقي لجامع بن طولون.

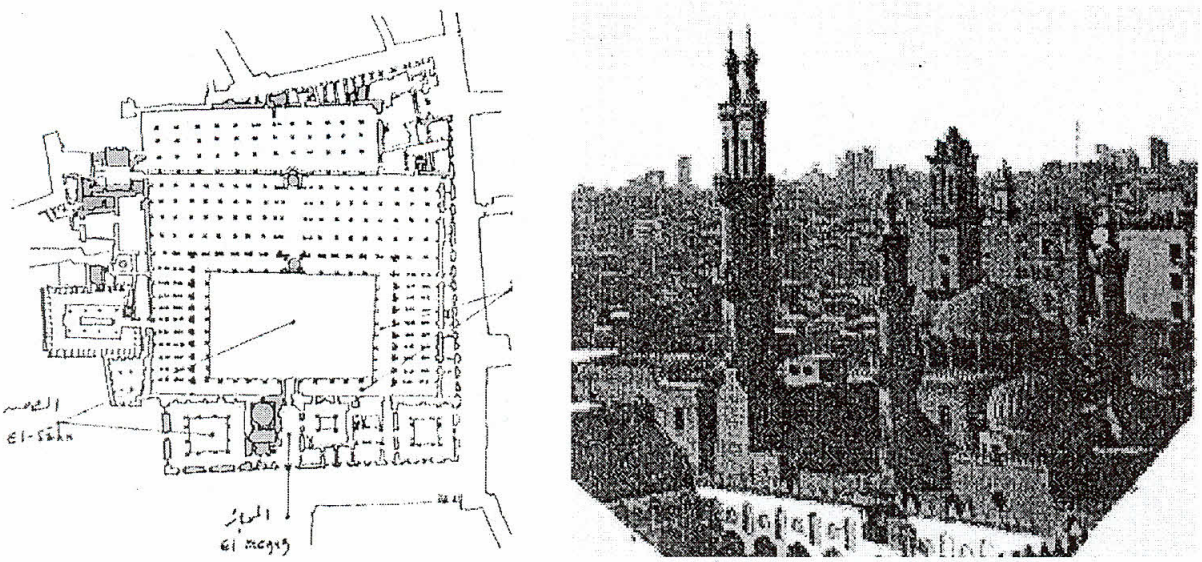


شكل ١٨: جامع بن طولون والعمران المحيط.[٢]

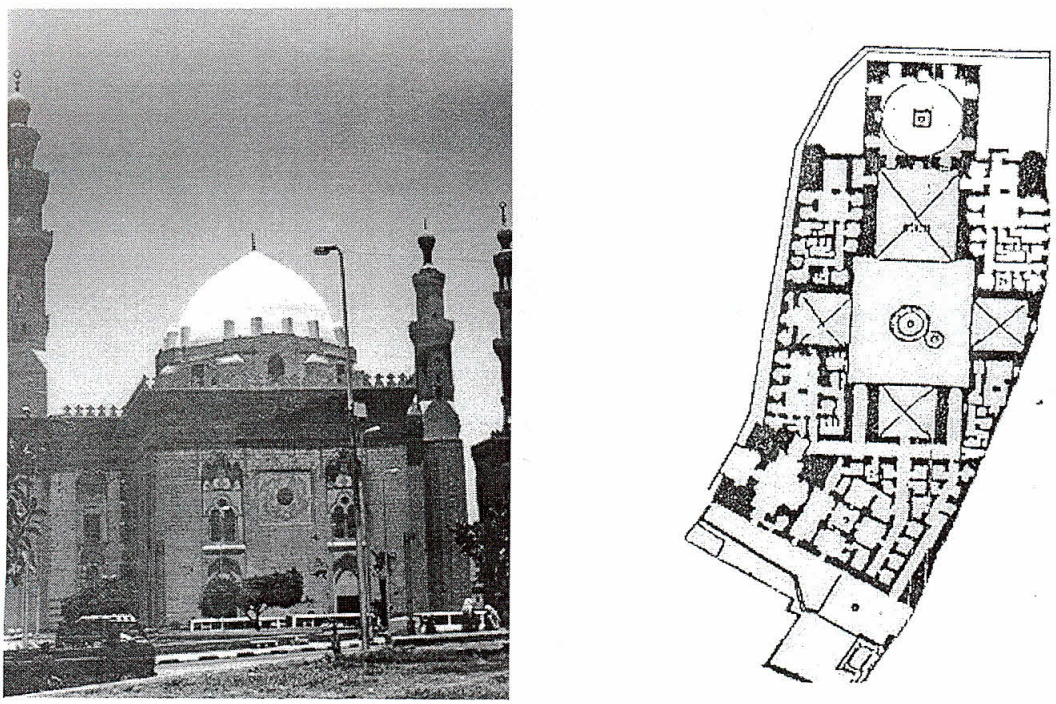
---

[١] الجامع العتيق- الفسطاط، عام ٢١هجرية ٦٤٠ميلادية، أسس هذا المسجد عمرو بن العاص بعد الفتح الإسلامي ثم قام الأمير مسلمة (الحاكم الأموي على مصر) بتوسعته من الجهة الشمالية والشمالية الغربية، يقول عنه المؤرخ (المقريزي) أن معاوية بن أبي سفيان الخليفة أمر بإضافة المنارات الأربع على أركان المسجد (الصوامع) التي كانت بمثابة نموذج أضيف للمساجد في الفسطاط بعد ذلك.[٧] وجاءت الإضافة الثانية في عهد عبد العزيز بن مروان كما يقول المؤرخ "الكندى" تم وضع وقف من بيت المال (الزكاة) لاعانة المحتاجين والمرضى وغير القادرين، وقد وضعت هذه الوحدة في مركز الصحن في شكل سقيفة على ثمان أعمدة (مازالت قائمة)، تمت بعد ذلك عدة توسعات للمسجد في عصور الأيوبيين والمماليك والعثمانيين، حتى العصر الحالي.

[٢] مسجد بن طولون (جامع الميدان) القطائع (عاصمة العباسيين بمصر) أنشأه أحمد بن طولون عام (٢٦٣هـ/٨٧٣م) وهو الحاكم العباسي الذي استقل بمصر بعد ذلك، وقد بني كتعبير عن انتقال الخلافة من الراشدين والأمويين (مسجد عمرو بن العاص) إلى العباسيين. وهو عبارة عن مسقط شبه مربع ١٦٢م×١٤٠م وصحن مربع قائما ٩٢×٩٢م وبما يشبه إلى حد كبير المسجد الجامع في البصرة (٦٢٢هـ/٦٣٥م) المسجد الجامع في الكوفة (٢٥هـ/٦٣٨م) وكذا مسجد البصرة (١٩٣هـ/٨٠٨م) ويماثل في تشكيله مسجد سامراء ٢٠٧هـ/٨٢٠م وخاصة مآذنته الملوية وكذا دعامات أعمدته الحاملة. ويقرر المؤرخ K.A. Creswell أن هذا المسجد هو نبت أجنبي زرع في التربة المصرية واستحدث وصيغ بواسطة العمالة العباسية (العراقية) في ذلك الوقت.[٨] ولقد أدخلت على المسجد عدة تعديلات وترميمات بدون زيادات واضحة حتى العصر الحالي.



شكل ١٩: صورة ومسقط أفقي للجامع الأزهر.[٣]



شكل ٢٠: مسقط أفقي و صورة فوتوغرافية لمسجد السلطان حسن.[٤]

[٣] الجامع الأزهر (٣٦١ هـ/٩٧٣م): بالرغم من أنه يعد المسجد الثاني (في النشأة) بعد الحاكم, إلا أنه يمثل المؤسسة الرسمية للفاطمين. ولقد تطور هذا المسجد تطوراً كبيراً في تاريخه وحتى العصور الحالية, وقد ادخلت عليه توسعات وتعديلات كبيرة حتى تحول إلى جامعة شملت إلى جانب العلوم الدينية علوم الحياة (الطب والهندسة والعلوم الإنسانية).

[٤] مسجد السلطان حسن (المماليك ٧٥٧هـ/١٣٥٦م): بدأ السلطان حسن حفيد السلطان قلاوون في انشاء هذا المسجد عام ٧٥٧هـ وأفتتح عام ٧٦٤هـ ويسمى بمسجد ومدرسة السلطان حسن لاحتوائه على مدرسة تعليمية وكذا مساكن للطلاب الدارسين كعنصر ووظيفة رئيسة للمسجد. [١٠]

ثانيا: الخلافة العباسية (العسكر والقطائع، مسجد بـــن طولـــون):

- خفوت الجذوة الإيمانية فى النفوس وبداية الطغيـــان المـــادي.
- غلبة الجانب التشريعي والفقهي والإسلام كحدود وأحكام على الجـــانب الوجـــداني والالـــتزام الديـــني.
- الرغبة في الحكم والسعي إليه غير من مفهومه مـــن خدمـــة المســـلمين إلى الاســـتقلالية في الحكـــم والتـــوارث وتميز الطبقـــات.

ثالثا: الفاطميون (القاهرة)، الجامع الأزهر، جـــامع الحـــاكم:

- التحول إلى المذهب الشيعي وسيطرة الغموض والتخفي وعدم إظهار بواطن الأمور مـــن قبـــل الحكـــام الآتـــين من المغـــرب.
- اللجوء إلى الرمزية وتقديس الأحداث والأشخاص والرموز تحت مظلة الديـــن وعـــبر الرمـــوز الصوفيـــة.
- سيطرة الطبقية بين النظام الحاكم وأفـــراد المجتمـــع.

رابعا: الأيوبيون، القاهرة خارج الأســـوار:

- العودة إلى المذهب السني بمذاهبه الأربعة ونشرها عبر المـــدارس الملحقـــة بالمســـاجد.
- عودة الوضوح وخفوت النظام الطبقي اختلاط الأعراق المختلفة تحـــت مظلـــة الإســـلام.

خامسا: المماليك، الصورة المتحولة للمســـجد/المؤسســـة:

- غلبة الجانب العسكري والسياسي واستخدام الدين لتأكيد ســـيطرة النظـــم الحاكمـــة.
- دخول العناصر الأعجمية وسيطرتها علـــى الحكـــم.
- التباين الواضح بين الدين كالتزام ورؤية إيمانية وبين الجانب التشـــريعي والحـــدود والأحكـــام.
- التشرذم والتفرقة والتكالب على الحكـــم.

سادسا: العثمـــانيون:

- انتقالية مفهومية واضحة وبداية الازدواجية بين القادمين الغربيين بحضـــارتهم وأنســـاقهم وبـــين العامـــة وبقيـــة المسلمين بالرغم من توحد العقيـــدة.
- تعميق الرؤية المتحولة للدين بزيادة التباين والانفصال بـــين الديـــن كصياغـــة متكاملـــة للأنشـــطة والأنســـاق المجتمعية والثقافية وبين الدين كنظام حكم وتشريع والدين كجـــانب عبـــادي وجـــداني.

ب- رصد وتقييم للتحولات فى وظائف المسجد/المؤسسة:

الجانب التعبدي: استمر هذا الجانب يؤدى دوره بصورة شبه ثابتـــة عـــبر الحقبـــات المختلفـــة دون انقطـــاع فى معظـــم بلدان العالم الإسلامي حيث أن التحولات الحادثة أو الانتقالات المفهومية فى عصر مـــا قبـــل الحداثـــة لم تتعـــرض لهـــذا الجانب بل حاولت فى رؤيتها العلمانية أن تحصر الدين فى صورته التعبدية في علاقة بـــين الفـــرد وربـــه فقـــط.

الجانب المجتمعي: والذي - كما سبق تفصيله - تمثل في وظائف ثلاث:

أولا: العلم والتعلم وتربية النشء (تدريس علوم الدين والحياة).

ولقد استمرت هذه الوظيفة كذلك عبر فترات ما قبل الحداثة (التجربة المصرية) تمثل أحد المكونات الرئيسية للمسجد/ المؤسسة بل أنها تطورت مع مرور الوقت لتظهر المدرسة فى العصر الأيوبي (مدرسة الصالح نجم الدين أيوب والصالح طلائع) ثم تكاملت فى العصر المملوكي في صورة التدريس والإقامة للطلاب الدارسين (مسجد ومدرسة السلطان محسن).

ثانيا: العلاج والاستشفاء (الخدمة الصحية):

وكذلك تطورت هذه الوظيفة عبر العصور المختلفة حتى تبلورت في صورتها المتكاملة في عصور المماليك حيث انتشرت البيمارستانات الملحقة بالمسجد مثل (مسجد وبيمارستان السلطان قلاوون ومسجد بيمارستان السلطان برقوق بشارع المعز بدين الله).

ثالثا: القضاء والفصل في المنازعات:

شهدت هذه الوظيفة تحولا ملحوظا في انفصالها عن المسجد مع مرور الوقت حيث خصصت دور للمحاكمة والقضاء بعيدا عن المسجد/المؤسسة - بعد أن كانت أحد وظائفه الرئيسية - حتى في عصر ما قبل الانقطاع (الحداثة) حيث اتخذت سبيلين:

- محاكم عامة لجميع القضايا ويفصل فيها قضاة من قبل الدولة أو الأمراء مثال بيت القاضي وساحة المحكمة بجواره (بوابة النصر الشمالية فى شارع المعز).
- محاكم مهنية: وهى التي كانت تفصل فى المنازعات لأصحاب المهن المختلفة من خلال أئمة ومشايخ هذه المهن مثل شهبندر التجار، والصناع والحرف المختلفة.

ولذا فأن وظيفة القضاء تعد فى طليعة الوظائف التي انفصلت عن المسجد/المؤسسة ليفقد أحد أنشطته وملامحه الرئيسية.

الجانب السياسي والتشريعي:

ويمثل أول الوظائف التي انفصلت تدريجيا عن المسجد/المؤسسة فبعد أن كانت أمور الدولة واتخاذ القرارات وإخراج كتائب المجاهدين والفاتحين تمثل النشاط أو الكيان الرئيسي الذي يشكل مفهوم (المسجد/المؤسسة) انفصلت وأن بدأت على استحياء حيث التصقت دار الإمارة بالمسجد (جامع الميدان) أحمد بن طولون (دار الإمارة كانت ملتصقة بالحد القبلي للمسجد). ثم انفصلت تماما عنه في النطاق العمراني (وإن كانت على نفس المحور الرئيسي للقاهرة الفاطمية منطقة القصر الكبير والصغير وبين القصرين على نفس شارع المعز لدين الله الذي انتهى بجامع الحاكم). ثم انفصل تماما قصر الحكم ودار الإمارة بعيدا عن المسجد/المؤسسة في عصور المماليك وحتى بدايات القرن التاسع عشر.

التحول في مفهوم المسجد/المؤسسة، فترة الحداثة المصرية

تعد مصر وفى مقدمتها القاهرة/العاصمة من أكثر بلدان العالم الإسلامي تأثراً بالتحولات العالمية وبصفة خاصة التحول الأكبر الناتج عن سيطرة مفهوم الحداثة الغربي وانعكاساته المختلفة على القضايا والجوانب الفكرية والإبداعية والمجتمعية.[١١، ص١٨]

الرؤية التحليلية للمسجد/المؤسسة

الانتقالة المفهومية

تعد فترة القرن التاسع عشر في التجربة المصرية بمثابة التحول الرئيسي. وإن اختلف مردود ذلك بين الآراء المختلفة اتفاقاً واختلافاً، ولقد كان الموقف من الدين والعقيدة أحد أهم المجالات التي شملها هذا التحول.

وبالرغم من أن هذا الانقطاع لم يحدث بشكل مفاجئ بل جاء تدريجياً عبر أحداثه الرئيسية الثلاث - كما سيأتي توضيحه إلا إن المفهوم الرئيسي الذي سيطر على حركة الحياة والفكر وغير من الأنساق المجتمعية (أفراداً وجماعات) بل اتخذ موقع الدين كبديل - هو التغريب Westernization والذي اتخذ في تطوره ثلاثة صور:

أولاً: الإطلاع على النموذج الغربي النهضوى (الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) حيث بدأت بذور هذا المفهوم (عبر نموذجه) في التعمق في التربة المصرية.

ثانياً: التغريب كركيزة للنهضة (الحداثة المصرية) عبر حكم محمد على لمصر (١٨٠٥ - ١٨٤٦) حيث أصبح إطاراً لتوجيهات الحكم الذي بدأ وطنياً راغباً في طرح مشروع قومي للنهضة بيد أنه قد ارتكز على النموذج الغربي في إرساله للبعثات إلى فرنسا وإنجلترا لإعداد طليعة الكوادر المنوط بها هذا المشروع.[١٣، ص٨٧]

ثالثاً: التغريب كواقع عمراني ونموذج قومي (حكم الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) والذي تحول فيه النموذج الفكري إلى مدينة جديدة هي قاهرة الغرب الأوروبية الصياغة وكذا الملبس والسكنى، وكما تواجدت قاهرتان الشرق (أو المنشأ) وقاهرة الغرب الأوروبية انفصلت الأمة إلى طائفتين وحدثت الازدواجية الفكرية فالحكام والصفوة فى الغرب بفكرهم ورؤيتهم وأنساقهم الغربية، والشعب بطوائفه بفكره وأنساقه الموروثة فى قاهرة المنشأ إلى الشرق.[١٤، ص٢٣]

التحولات في وظائف المسجد/المؤسسة

عبر فترة الانقطاع هذه شهدت الأنشطة والوظائف الرئيسية التي شكلت ملامح المسجد/المؤسسة تحولاً جذرياً قائماً على الرؤية المتحولة للدين حيث تهميش دوره وانحصاره في مجرد الجانب التعبدي. ولقد نشأت هذه الرؤية - كما سبق ذكره- بعد استقرار الفكر التغريبي Westernization في المجتمع المصري وهو الفكر القائم أساساً على الرؤية الأوروبية النهوضية الرافضة للدين والتي حددت دوره فى أنه علاقة بين الفرد وربه بلا أي دور في صياغة

الأنشطة الحياتية والمجتمعية. وهذه الركيزة هي التي – في واقع الأمر – قد شكلت الأرضية المعرفية التي انطلقت منها كل ملامح الحداثة الأوروبية والعالمية.

وتحليلا للجوانب الثلاث (المشكلة للمسجد/المؤسسة) عبر هذه التجربة (فترة الحداثة والانقطاع) فى مصر:

أولا: الجانب التعبدي:

على الرغم من استمرارية هذه الوظيفة كنشاط شبه وحيد للمسجد إلا أنه حتى هذا النشاط قد شهد انعكاسا لخفوت الجذوة الدينية والإيمانية في النفوس فتقلصت الصلاة الجامعة إلى مجرد صلاة الجمعة واختفت أنشطة كالاعتكاف وحلقات التعليم الديني.

ثانيا: الجانب المجتمعي:

انسحب تأثير الانقطاع بشكل رئيسي على دور المسجد فى المجتمع فاقتصر التعليم والتعلم على بعض المساجد وكتعليم ديني أو دروس من قبل الهيئة الرسمية (الأوقاف) كما اختفت وظائف العلاج والاستشفاء وانتقلت إلى منافذ التعليم الأخرى (قصر العيني) وغيره إلى المستشفيات العامة وعيادات الأطباء الخاصة. أما القضاء وفض المنازعات فقد انفصلت تماما وذلك لوجود رؤية رسمية للتشريع معتمدة على القوانين الفرنسية والأوروبية والتي أفرزت المؤسسات التعليمية مثل كلية الحقوق وكذا وزارة العدل أو الحقانية في صياغة منفصلة كليا عما كان سائدا عبر المؤسسات الوسيطة (شيخ الحارة، شهبندر التجار، رئيس البنائين) وهى المؤسسات الشعبية التي كانت تتخذ دورها فى القضاء وفض المنازعات مرتكزة على المفاهيم والأعراف المتوارثة والنابعة من الدين الإسلامي.

ثالثا: الجانب السياسي وإدارة الدولة:

بالرغم من أن الانفصال بين إدارة الدولة وقصر الحكم والجوانب السياسية وبين المسجد/المؤسسة قد حدث فى عصور مبكرة قبل الانقطاع إلا أنه تواجدت رموز للربط بين المسجد/المؤسسة ونظام الحكم فى هذه العصور ممثلة فى الخلافة أو الصبغة الدينية للحاكم الذي كان يقوم فى معظم الأحيان بإلقاء خطبة الجمعة. ولكن التحول الحادث فى العلاقة بين الحكم والمسجد كان انقطاعا تاما. انفصالا بين مؤسسة الحكم والمؤسسة الدينية. بل انحصر دور الدين – كجزء من الرؤية الدينية المتحولة – إلى مجرد المقبرة حيث ألحقت مقابر الأسرة الحاكمة بالمساجد الرسمية مثل مسجد الرفاعي وغيره. وكذا في حضور الحاكم لصلاة الجمعة الأخيرة فى رمضان وصلاة العيدين (شكل ٢١).

المسجد/المؤسسة في التجربة المصرية (مرحل ما بعد الحداثة Post Modernism)

على الرغم من أن النصف الأول من القرن العشرين (عالميا) يمثل البلورة النهائية لفكر الحداثة على مستوى التطبيق شاملا العمران والعمارة) –إلا أن التجربة المصرية شهدت رفضا مبكرا للنموذج التغريبي المرتكز على ركائز الحداثة وذلك على مستوى الفكر والثقافة كبداية. فلقد حدث نمو للشعور القومي مناهض للفكر التغريبي الذي

أصبح واقعا عمرانيا وسياسيا بل وتواجدا عسكريا (الاستعمار البريطاني). حدث هذا مع ثورة ١٩١٩ التي أذكت هذا الشعور وأن تبنت فى طياتها نفس ركائز الفكر الحداثى الغربي. [١٥، ص٥]

ولقد تلت ثورة ١٩١٩ اجتهادات كثيرة لصياغة فكر قومي كان من أهمها محاولة الارتكاز على إسلامية مصر وشمولية الإسلام وطرحة كبديل للرؤية التغريبية (التي تغلغلت في معظم طبقات الشعب) إلا أنه كتطبيق لمفهوم المسجد/المؤسسة - فلقد ارتبط ذلك بفترة السبعينات بعد حرب أكتوبر التي أزكت من هذا المفهوم ورسخت من تماسك الجماعة المصرية حول العقيدة كركيزة للتوجه القومي. وتمثلت محاولة إحياء هذا المفهوم بصورة أساسية فى إعادة إدخال بعض الوظائف الرئيسية (للمسجد/المؤسسة) والتي غابت عنه لفترة ليست بالقصيرة خاصة فيما يتصل بالجانب والأنشطة المجتمعية (التعليمية - الصحة والعلاج - التثقيف والتربية).

وبالرغم من أن المسجد/المؤسسة بمفهومه الشامل لم يطرح بصورة كاملة إلا أن عودة هذه الوظائف للمسجد وخروجه عن مجرد الدور العبادي يمثل محاولة جديرة بالرصد والدراسة فى إطار عودته أو على الأقل طرح رؤية متوافقة للمفهوم الشمولي للمسجد الجامع/المؤسسة. ولقد شهدت القاهرة/العاصمة محاولات عديدة على المستوى الشعبي (اللا رسمي) وعلى مستوى الجمعيات الأهلية والأشخاص لتطوير مساجد المناطق خاصة (مناطق الامتداد العمراني) مثل المهندسين الأوقاف والصحفيين - مدينة نصر ومصر الجديدة. وعلى هذا النحو أقيمت العديد من المساجد مثل:

- مسجد محمود، المهندسين (مدينة الأوقاف).
- مسجد المحروسة، الصحفيين.
- مسجد رابعة العدوية، مدينة نصر.
- مسجد الخلفاء الراشدين، مصر الجديدة.
- مسجد الزهراء، جامعة الأزهر، مدينة نصر.

وفى جميع هذه المساجد تواجدت الوظائف المجتمعية ممثلة في:

- الحلقات الدراسية والتعليمية وتربية النشء سواء من خلال التعليم الديني (علوم الدين) أو العلوم الأخرى.
- العلاج والاستشفاء حيث ألحقت بجميعها المستوصفات والمستشفيات (خاصة العيادات الخارجية) من الأطباء (بنسبة معينة من التطوع وبأجور شبه رمزية).
- دار المناسبات، لاستقبال العزاء وكذا عقد الزواج وغيرها (شكل ٢٢-٢٤).

الاستجابة العمرانية/المعمارية/التشكيلية

نتناول في هذا الجزء الصياغة العمرانية/المعمارية والتشكيلية للمسجد/المؤسسة في انتقالاته وتحولاته فى فتراته الثلاث - الاستمرارية (ما قبل الحداثة) - الانقطاع (الحداثة) المراجعة (ما بعد الحداثة).

الدراسة التحليلية لتطبيقات التجربة المصرية وباستخدام النموذج المطروح لرصد التحول فى الصياغة العمرانية المعمارية مسجلة فى اللوحات (شكل ٢٠-٣٦).

الاستنتاجات البحثية والخلاصة

في هذا الجزء نطرح خلاصة الدراسة البحثية والنتائج التي توصل إليها البحث ممثله في أربعة جوانب:

أولا: طرح رؤية تحليلية لدراسة المباني النوعية كنشأة وتطور والاستجابة العمرانية/المعمارية.

ثانيا: صياغة لملامح ووظائف المسجد/المؤسسة التي تشكلت من خلال النموذج الأول فى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة.

ثالثا: تعقيبات حول الدراسة التحليلية لتطبيقات التجربة المصرية في انتقالاتها وتحولاتها المختلفة على السياق التلويخي.

رابعا: الخلاصة والتوصيات وتتمثل فى محاور لتنشيط هذا المفهوم وإمكانية طرح صياغة متوافقة كتطبيق للمسجد/المؤسسة ليستوعب المتغيرات المعاصرة.

دينامية التغير المفهومي Paradigm Shift

دينامية التغير المفهومي هو منهج لرصد نشأة وتطور وتحول النوعية Typology فى العمارة. وقد توصلت الدراسة إلى منهج لرصد وتطور وتحول النوعية Typology مطبقا على مباني العبادة. الذي تمثل فى الملامح التالية:

أولا: رصد التغير المفهومي من خلال استجلاء الأسباب التي شكلت هذا التغير ومدى تأثيرها على تغير المفهوم الحاكم.

ثانيا: القضايا المعرفية-(المفاهيم النوعية) وتمثل رصدا للتغير - في المجالات المختلفة - الناشئ عن التغير المفهومي الأساسي مثل (الأنشطة المجتمعية/الثقافية/السياسية).

ثالثا: السياق التاريخي/والذي اتخذ من سيطرة مفاهيم الحداثة Modernism التي أطلقنا عليها فترة الانقطاع - الحدث الرئيسي الذي نرصد من خلاله التحولات والتغيرات في نوعية المباني ونشوء أو اختفاء نوعيات أخرى أي تراتب الأحداث تبعا لها (ما قبل الحداثة/الحداثة/ما بعد الحداثة).

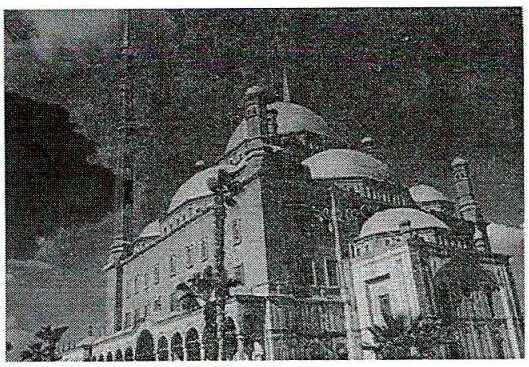
رابعا: الاستجابة العمرانية / المعمارية والتشكيلية:

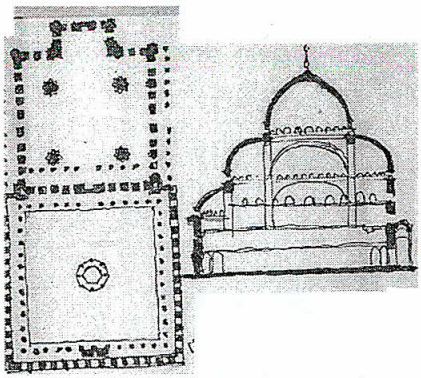
وتم التعبير عنها بالآتي:

أ- الاستجابة العمرانية ممثلة فى موقع المبنى فى النسيج العمراني وعلاقته بالأنشطة المحيطة.

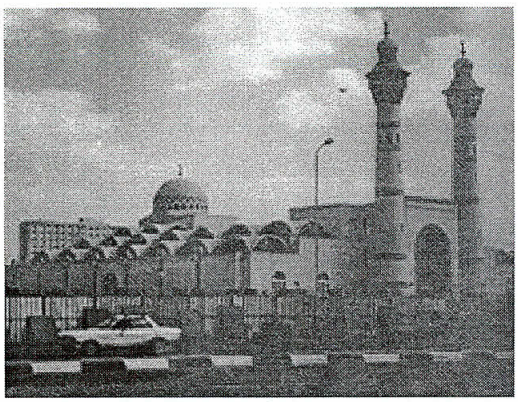
ب- الاستجابة المعمارية: ممثلة فى قانون التشكيل العام من حيث وحدة التشكيل الرئيسي - التنظيم الفراغي-التوجيه-المركزية-العلاقات بين الفراغات والفكرة الإنشائية.

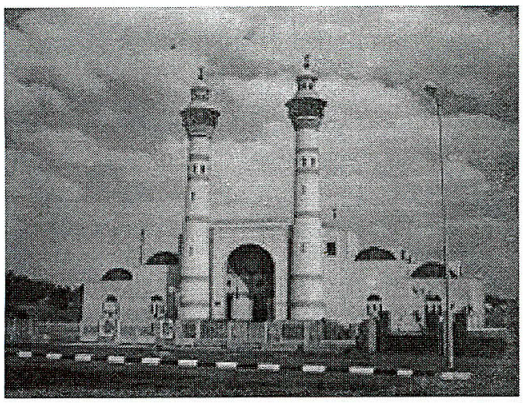
ج- الاستجابة التشكيلية ممثلة فى الملامح الرئيسية للتشكيل الخارجي للفتحات والمداخل والألوان والمقياس.



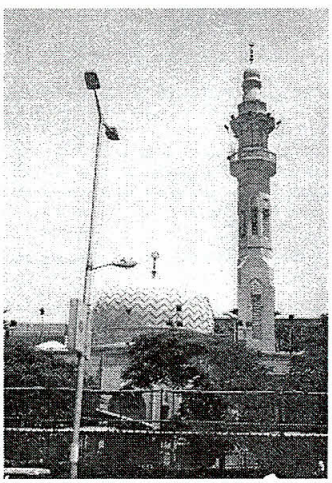


شكل٢١: جامع محمد على بالقلعة (١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)[٥]

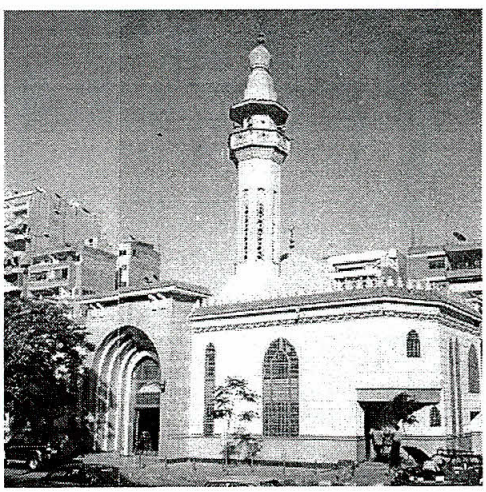




شكل ٢٢: مسجد الزهراء، مدينة نصر.

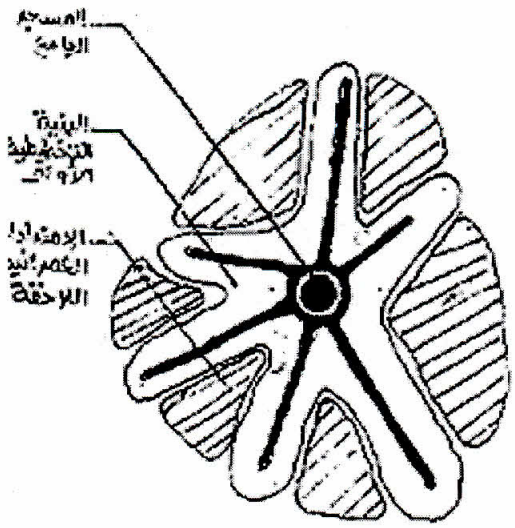


شكل ٢٣: مسجد محمود، المهندسين.

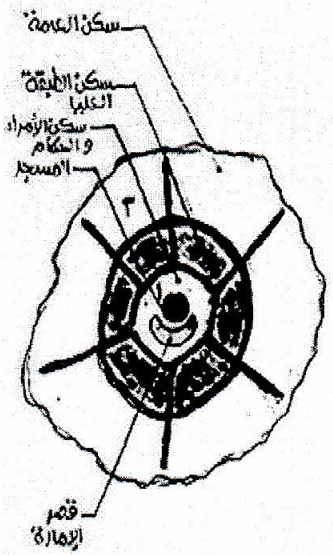


شكل٢٤: مسجد المحروسة، الصحفيين.

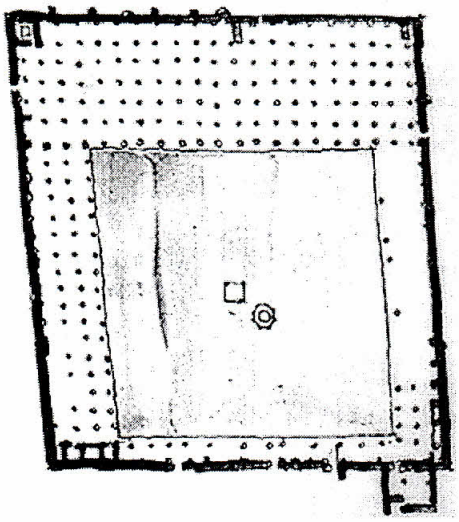
[٥] أنشأه محمد على باشا بعد أن فرغ من بناء قصوره بالقلعة وبناء الدواوين بها وعهد به إلى المهندس التركي (يوسف بوشناق) بوضع تميم له فوق اختياره على مسجد السلطان أحمد بالأستانة فاقتبس مسقطه وتشكيلاته الرئيسية. ويتكون المسجد من جزئين أحدهما مكشوف وهو الصحن وعبارة عن ساحة مكشوفة محاطة بأربعة أروقة مغطاة بقباب ضخمة، والجزء المغطى عبارة عن ساحة مربعة مغطاة بقبة قطرها ٢١م وارتفاعها ٥٢م محمولة على أربعة أكتاف يحيط بها أربعة أنصاف.[١١]



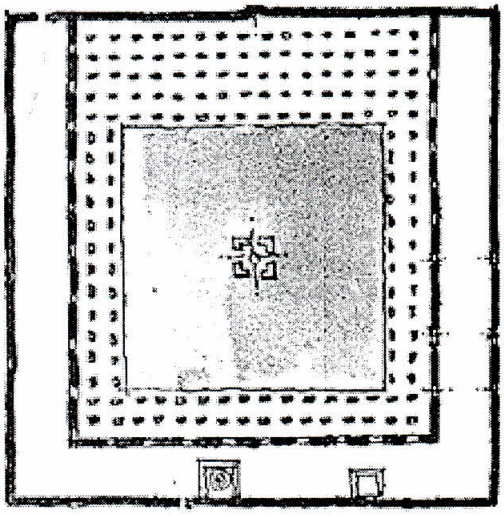
شكل٢٥ : الفسطاط، اسكتش تحليلي للتخطيط الأساسي.[٦]



شكل ٢٦: القطائع، اسكتش تحليلي للتخطيط الأساسي.[٧]



شكل ٢٧: المسقط الأفقي لمسجد عمر بن العاص (الجامع العتيق).[٨]



شكل ٢٨: المسقط الأفقي لمسجد بن طولون (جامع الميدان)[٩]

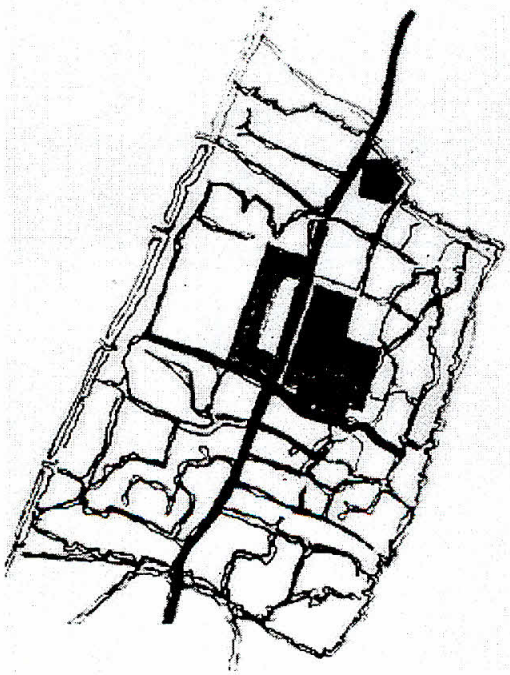
---

[٦] – المسجد/المؤسسة منفردا في المركز وبداية العمران. – البنية التخطيطية الأولى تنطلق من المركز في شكل إشعاعي في تعبير عن غلبة وتمكن الرؤية الدينية المثلمنة بجوانبها للوجدانية التشريعية للمجتمع المسلم. – المسجد/المؤسسة هو مقر للحكم والقضاء والتشريع.

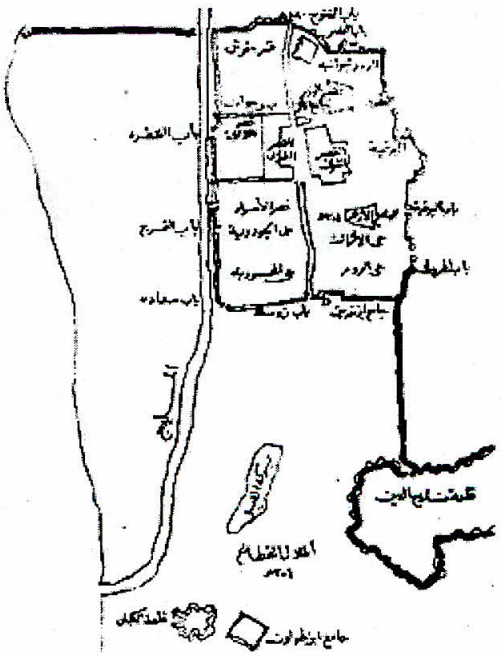
[٧] – المؤسسة/المؤسسة في المركز ولكن إلى جوارة يقع قصر الإمارة، في تعبير واضح عن بداية تميز مؤسسة الحكم عن المسجد/المؤسسة توطئه للانفصال بالرغم من استمرارية استناد للحكم على الجانب التشريعي للدين. – الامتداد العمراني في شكل حلقي حول المسجد في إطار تكريس المنطق الطبقي بين أفراد المجتمع. – الأنشطة التجارية تمتد من المسجد/للمؤسسة في شكل إشعاعي.

[٨] – الأنشطة المجتمعية خلال الفراغ الواحد الشامل للمسجد. – الصحن المفتوح للسماء. – الأروقة الأربع. – بيت المال وسط المسجد (مؤسسة للتكافل الاجتماعي عبر الرؤية الدينية الإسلامية.

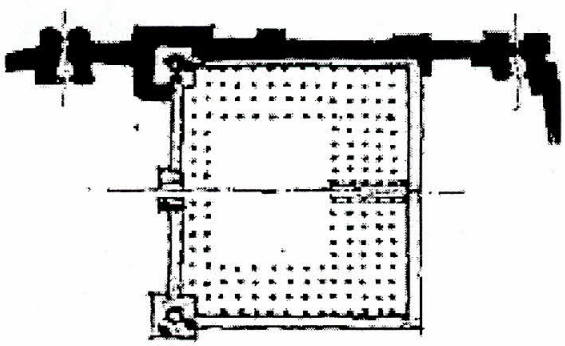
[٩] الثوابت التصميمية: – الصحن. – الأروقة الأربع أكبرها رواق القبلة. – اختفاء مؤسسة التكافل (بيت المال) من المسجد. – المئذنة منقولة من مسجد (سامراء) المأخوذة بدورها من (الزاجورات) الفارسي.



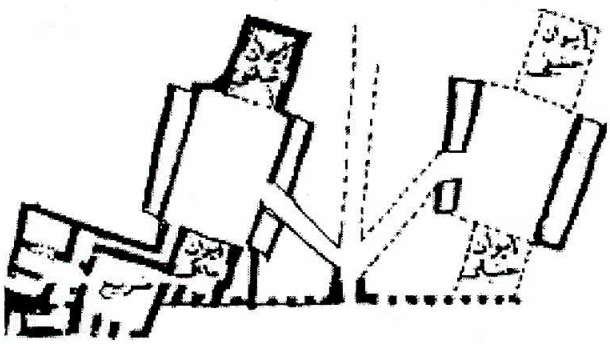
شكل ٢٩: مخطط القاهرة الفاطمي.[١٠]



شكل ٣٠: القاهرة في زمن الايوبيين.[١١]



شكل ٣١: المسقط الأفقي لجامع الحاكم سور القاهرة الشمالي.[١٢]



شكل ٣٢: المسقط الأفقي لجامع ومدرسة الصالح.[١٣]

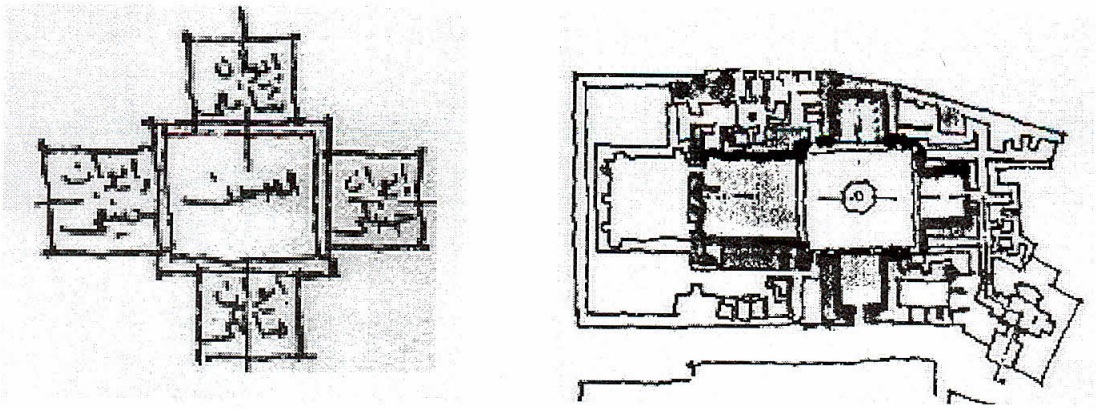
---

[١٠] القاهرة/العاصمة: – القصران (الكبير والصغير) في مركز العمران والمسجد في بداية المسار الرئيسي (شارع المعز). – الانفصال الواضح لمؤسسة الحكم عن المسجد/المؤسسة. – مسطح القصرين الضخم بالنسبة إلى مسطح المسجد الجامع. – المدينة المسورة والتمايز الطبقي في انفصال الغزاة بمدينتهم عن بقية العمران. – الغموض والانغلاق.

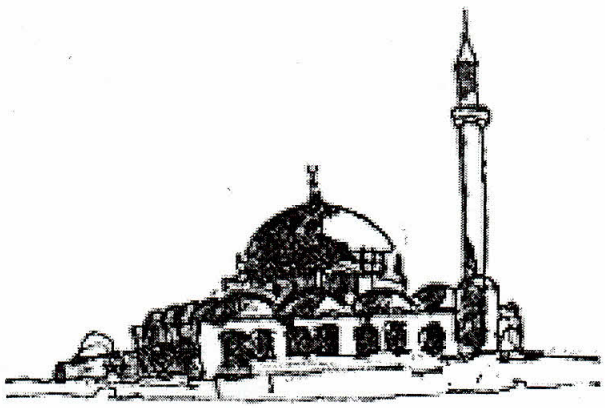
[١١] انفتاح القاهرة على العواصم القديمة (الفسطاط، العسكر، القطائع): – بداية تميز المدينة الأم وفقدان المسجد/المؤسسة، كتعبير رسمي عن الدولة، لمقوماته العمرانية وسيطرته على النسيج العمراني والأنشطة المجتمعية. –كذلك تواجد العديد من المساجد الجامعة في إطار المدينة لم ساعد على عدم التأكيد على دور المسجد/المؤسسة لدورة الموسسي والموقف من العمران المحيط.

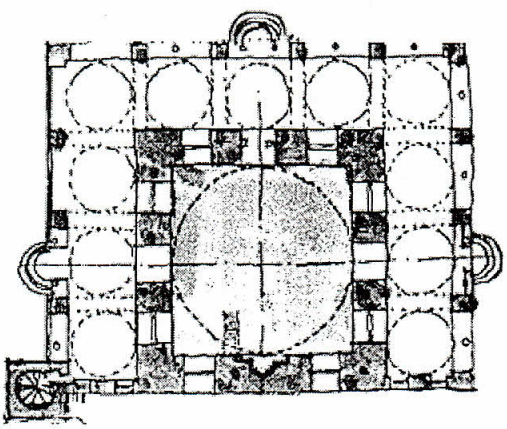
[١٢] بالرغم من التغير في تلك الحقبة إلا أن الصياغة المعمارية للمسجد/المؤسسة لم تشهد نفس القدر من التغير حيث ظلت الثوابت (الصحن، الرواقات الأربع المحيطة بالصحن، المدخل الرئيسي في الجدار (الشمال الغربي) إلا أن الجيومترية والسيمترية والانتظام الموديولي تواجد بصورة أكثر وضوحاً.

[١٣] العودة للمذاهب السنية الأربعة. – غلبة وظيفة التعليم على بقية الوظائف حيث ظهرت المدرسة ممثلة في الأيونات الأربعة. – التطور أو التغير الحادث في العنصر الرئيسية للمسجد/المؤسسة تمثل في استبدال الأروقة الأربعة بالأيونات.



شكل٣٣ : مسجد ومدرسة السلطان حسن (مملوكي).[١٤]



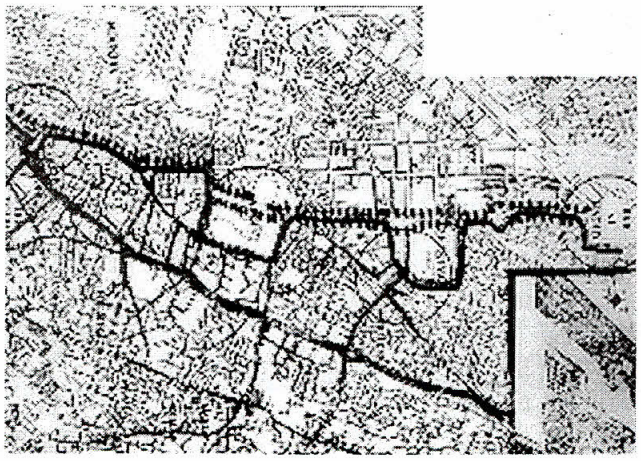


شكل ٣٤: جامع سنان باشا، القاهرة (عثماني).[١٥]

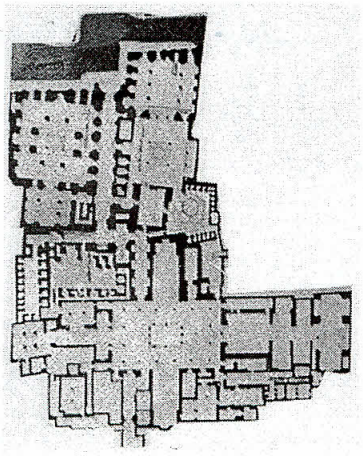
---

[١٤] صورة المدرسة المتكاملة للتعليم الديني بمذاهبه الأربعة وذلك عبر الايوانات الأربعة المحيطة بالصحن الرئيسي. – الإضافة هنا تتمثل في أماكن إقامة الطلاب. – ظهور المقبرة (الخاصة بالسلطان) خلف إيوان القبلة ويمثل انعكاس لتقليص علاقة المؤسسة الدينية بمؤسسة الحكم إلى مجرد مفهوم البعث والنشور والموت.

[١٥] اختفاء الثوابت الرئيسية في تصميم المسجد وهي الصحن والرواقات أو الايونات حيث: – حل الفراغات الأوسط المغطى بالقبة محل الصحن وكذا الإيوانات تحولت إلى ممرات حول الصحن. – يلاحظ التأثر الواضح بتصميم الكنيسة البيزنطية حيث الفراغ الوسطي المركزي المغطى بالقبة والممرات المحيطة.



شكل ٣٥: قاهرة القرن التاسع عشر والشرخ الاجتماعي/الثقافي العمراني.[١٦]



شكل ٣٦: مسجد ومدرسة وبيمارستان (مستشفى) السلطان قلاوون ٦٨٣هـ-١٢٨٤م.[١٧]

طرح صياغة أولية (للمسجد/المؤسسة) عبر الوظائف المشكلة له

تحددت الملامح الرئيسية والوظائف المشكلة للمسجد/المؤسسة كنموذج عبر الصياغة الأولى لمسجد الرسول ﷺ بالمدينة في جوانب ثلاثة:

أولا: الجانب التعبدي. الصلاة المفروضة - صلاة الجمعة - الاعتكاف والأذكار وتطهير النفس عبر مجالس العلم و الذكر .

ثانيا: الجانب المجتمعي. وتمثل فى الوظائف التالية في:

١- التعليم والتعلم (التدريس).

٢- العلاج والاستشفاء.

٣- القضاء والفصل في المنازعات.

ثالثا: الجانب السياسي وإدارة الدولة.

ومن خلال هذا الرصد لوظائف مسجد الرسول ﷺ تحدد (النموذج الأمثل للمسجد/المؤسسة الذي على أساسه يتم رصد وتقييم الاستجابات العمرانية ، المعمارية والصياغات التطبيقية عبر التاريخ الإسلامي للتجربة المصرية

---

[١٦] - القاهرة هي مدينتان يفصلهما الشرخ العمراني الاجتماعي/الثقافي. - إلى الشرق، قاهرة المنشأ المملوكية بانتماءاتها الذاتية ورؤيتها الدينية، ومن ثم الموقف العمراني للمسجد/المؤسسة ضمن هذا النسيج وعلاقته بالأنشطة الاجتماعية وعبر المؤسسات الوطنية الوسيطة. - وإلى الغرب قاهرة الخديوي إسماعيل أو (باريس الشرق) بانتماءاتها الأوروبية التغريبية ومن ثم الموقف العمراني حيث استبدل المسجد/المؤسسة بمؤسسات أخرى (قصر الحكم، الأوبرا، القهوة والبنك) على الساحات الرئيسية وعلى مسارات الحركة في السياق العمراني الحديث (الغربي الباريسي البوليفارت). - كما اختفى الدور العمراني الاجتماعي الثقافي أو المؤسسي للمسجد وحلت محله المؤسسات الأخرى (الأوبرا، البنك، القهوة).

[١٧] تحورت الصياغة المعمارية عبر التحول من الدور المؤسسي للمسجد إلى مجرد تأدية العبادة والانفصال عن الحياة المجتمعية. - ففي مسجد ومدرسة وبيمارستان قلاوون تكاملت معظم الأنشطة المجتمعية في الإطار المؤسسي للمسجد وجاءت الاستجابة المعمارية في تكامل وتميز الفراغات المختلفة الحاوية لهذه الأنشطة، في حفاظ على الثوابت (الصحن والأيوانات).

حول التجربة المصرية المعاصرة-تعقيبات

عبر السياق التاريخي المطروح (ما قبل الحداثة-الحداثة-ما بعد الحداثة كان لمفهوم المسجد/المؤسسة وتطبيقاته في التجربة المصرية خصوصيات وملامح مميزة. نعقب عليها بآلاتي:

التعقيب الأول

أن الجماعة المصرية فى تعهدها لمفهوم المسجد / المؤسسة منذ بداية اعتناقها للإسلام قد طورت من صياغاته التطبيقية ومن ثم من الوظائف الأساسية له بما يستوعب الخصوصيات الثقافية / المجتمعية لهذه الجماعة وذلك عبر فترات الاستمرارية (ما قبل الحداثة في الجوانب الثلاثة التالية):

الجانب التعبدي

وإن كان من شأنه الثبات والإتباع وعدم الابتداع إلا أنه قد ألحق به الخانقاه وهو فراغ افترض فيه التقرب والتطهر عبر حلق الذكر الجماعي، إلا أنه قد تحول بعد ذلك، إلى استخدامات ابتعدت به عن أصول الدين.

الجانب المجتمعي

و ينقسم إلى قسمين:

أولا: تطور مفهوم التعليم والتعلم من مجرد حلقات التعليم بين الصلوات إلى المدارس الفقهية بمذاهبها الأربعة بل وأضيف إليها مساكن للطلبة الدارسين لتصبح مؤسسة تعليمية داخل كيان المسجد الجامع (مسجد مدرسة السلطان محسن).

ثانيا: كذلك العلاج والاستشفاء قد شهد تطورا من خلال تحوله إلى البيمارستان وهو لعلاج المرضى النفسيين ثم وحدات علاجية كاملة (عيادات خارجية) والتمريض (مسجد وبيمارستان السلطان برقوق).

الجانب السياسي وإدارة الدولة

فإنه بينما بدأت العلاقة قوية وواضحة بل وبسيطة بين مؤسسة الحكم فى بدايتها كنشاط داخل المسجد إلا أنها تحولت إلى دار الإمارة الملحقة بالمسجد الجامع ثم انفصل قصر الحكم تماما عن المسجد/المؤسسة.

التعقيب الثاني

في إطار الانقطاع والتحول التاريخي الكبير في القرن التاسع عشر والأحداث المتلاحقة بعده . فلقد انتقل المسجد/المؤسسة من كونه البيان الرسمي للحكم إلى الإطار الشعبي عبر قاهرة المنشأ بعيدا عن التناول الرسمي المرتكز على المفاهيم التغريبية فى القاهرة الجديدة أو "باريس الشرق" كما أطلق عليها الخديوي إسماعيل."

وهنا بدأ المسجد في فقدان دورة المؤسسي اللهم إلا في بعض وظائفه التعبدية أو حتى المجتمعية البسيطة ولكن في الإطار الشعبي بعيدا عن الصفوة والطبقة الحاكمة أو مؤسسة الحكم وإدارة الدولة.

التعقيب الثالث

فلقد عبرت الرغبة التي تولدت لدى أبناء هذا الجيل في طرح رؤية بديلة للتغريب (في بداية القرن) ثم العولمة في نهايته. عن محاولات عديدة واجتهادات لإعادة وإحياء الدور المجتمعي للمسجد/المؤسسة بإدخال الإضافات على المساجد في مناطق الامتداد العمراني لتستوعب الوظائف المجتمعية ولكن في إطار المؤسسات الأهلية.

الخلاصة

تتلخص الدراسة بالمحاور التالية لتنشيط دور المسجد/المؤسسة:

١- على مستوى المفهوم

عند تفعيل الوظائف الرئيسية القائمة (في المسجد/المؤسسة)، نجد أن هناك مجموعة من الخاصيات تشمل و لا تقتصر على:

أولا: إن خاصية الجماعة (الاجتماع) التي تعد الركيزة الأساسية لتأدية الفرائض والطاعات والأنشطة التعبدية داخل المسجد / المؤسسة والتي تجمع جميع الطبقات من صانعي القرارات ومنفذيها والإداريين إلى الحكام والعاملين عبر صلوات الجماعة والجمعة وصلوات القيام والاعتكاف والعديد من الأعمال التعبدية. هذا الاجتماع يتجاوز في إمكانياته مجرد التعبد وأداء الفرائض (بصورته البسيطة) إلى تحقيق رؤية مجتمعية شاملة تجمع كل فئات المجتمع، الأمر الذي يمكن من ترسيخ ثقافتها وخلق المناخ المناسب لإطلاق قدراتها الإبداعية أي أن تنشيط هذا الجانب وتفعيل هذه الوظيفة بما يتفق مع الغاية التنموية يؤدى إلى إحياء مفهوم المسجد/المؤسسة في المجتمع.

ثانيا: إن التركيز على إحياء مفهوم المسجد/المؤسسة في إطار إبراز دوره كركيزة لتنمية المجتمعات المسلمة يأتي عبر تنشيط وتفعيل وظائفه المجتمعية (التعليم/العلاج والصحة/القضاء) وقدراته (كمؤسسة للعقيدة والإيمان في شحذ الهمم للعمل التبرعي والتطوعي وتأدية الخدمات كالتزام وتعهد إيماني ديني لدى أفراد الجماعة المسلمة. بل وطرح هذا الدور كبديل للمؤسسات الاجتماعية التطوعية الأخرى من منطلق توحيد الجماعة المسلمة على الدين حول المسجد.

ثالثا: إن إحياء فكرة المؤسسات الوطنية الأهلية الوسيطة والتي كانت من ركائز المجتمع المسلم طوال تاريخه -سواء على المستوى المهني أو المجتمعي وربط هذه المؤسسات بالأنشطة داخل المسجد/المؤسسة قد يفضي في نهاية الأمر إلى عودته إلى دوره كمؤسسة تشريعية وإدارة الحكم وإطلاق التشريعات. أي المفهوم الشمولي للمسجد/المؤسسة.

٢- على النطاق العمراني/المعماري

إن ما طرحته الدراسة من رصد وتقييم لفلسفة الموقع والموضع العمراني للمسجد في القلب النابض للمجتمعات المسلمة وارتباطه بالأنشطة العمرانية والاستعمالات المختلفة والعلاقة التبادلية بينه وبين هذه الأنشطة. وكذلك تحليل تحولات هذه الخصوصية العمرانية عبر العصور كاستجابة للتغيرات المفهومية. من شأنه أن يعطى صورة شاملة ومن ثم توفير الأرضية المعرفية للمصمم والمخطط العمراني بما يمكنه من اتخاذ القرار التخطيطي العمراني السليم وبالكيفية التي تكفل تحقيق الدور الدينامي الفاعل للمسجد/المؤسسة كاستجابة عمرانية فى المجتمع المسلم.

كذلك فإن هذا الرصد التوثيقي والتحليلي للاستجابة المعمارية (الفراغية/التشكيلية) للمسجد/المؤسسة في تطبيقاته المختلفة عبر العصور وتحولات هذه الصياغات وتقييم هذه التحولات ونتائجها (سلبيا وإيجابيا) من شأنه أن يطرح رؤية متكاملة لاستيعاب المسجد لوظائفه الرئيسية وبدائل تواجدها والتعبير عنها داخل الكيان المتكامل للمسجد/المؤسسة. وهو الأمر الذي يكفل للمعماري مصداقية تكويناته وتشكيلاته وكذا نجاح صياغته الفراغية حين يتعرض لاتخاذ القرارات التصميمية.

المراجع

[١] Kuhn, T. *The structure of Scientific Revolutions*. Chicago: The University of Chicago Press, 1962.

[٢] توينبي، آرنولد. *دراسة في التاريخ*. ترجمه دكتور عبد الرحمن بدوي. القاهرة، ١٩٦٤م.

[٣] حاطوم، نورالدين وآخرون. *موجز تاريخ الحضارات*. دمشق، ١٩٦٥م.

[٤] فوزى، وجيه يوسف. "تطور تصميم الكنائس القبطية الأرثوذكسية بمصر". *رسالة ماجستير*. القاهرة: كلية الهندسة، جامعة عين شمس، ١٩٧٩م.

[٥] شبل، فؤاد محمد. *إخناتون رائد الثورة الثقافية*. سلسلة قادة الفكر. القاهرة: مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

[٦] فؤاد، نعمات أحمد. *شخصية مصر*. القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

[٧] Elhakim, Omar. "The Muslim Concept of Space in Coirene Architecture". *DoctoraL Thesis*. Cairo University, 1981.

[٨] Creswell, K.A.C. *A Short Account of Early Muslim Architecture*. London: Penguin Books, 1958.

[٩] Creswell, K.A.C. *Muslim Architecture of Egypt*. Oxford: 1959.

[١٠] Rostom, Osman. *The Architecture of the Mosque of Sultan Hassan*. Beirut Arab University. Beirut,

[١١] الصاوي، علي. "ديناميات العمران الشعبي والرسمي". *رسالة دكتوراه*. كلية الهندسة. جامعة القاهرة، ١٩٩م.

[١٢] الألفي، محمود محمد. "العمارة الإسلامية في مصر خلال القرن التاسع عشر". *رسالة دكتوراه*. كلية الهندسة. جامعة القاهرة، ١٩٨٥م.

[١٣] الصاوي، علي. *التحولات في الفكر والتعبير المعماري لقاهرة الخديوي إسماعيل*. رسالة ماجستير. القاهرة. كلية الهندسة. جامعة القاهرة، ١٩٨٨م.

[١٤] البشرى، طارق. *الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢*. القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٣م.

[١٥] الصاوى، علي. *رؤية منهجية لرصد التغير في العمران، - دراسة تطبيقية على عمران قاهرة النصف الأول من القرن العشرين*. بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الخامس لكلية الهندسة جامعة الأزهر. القاهرة،١٩٩٧م.

Mosque as an Islamic Institution between Constants and Variables

Ali M. Sawi
Faculty of Engineering, Cairo University
Cairo, Egypt

Abstract: Mosque/Institution is the urban, architectural and spatial configuration of the comprehensive Islamic vision which directs and controls Muslim's life and activities on earth, and interprets the collective imagination of cosm, creation and knowledge.

Therefore, (mosque/institution) is the embodiment of the collective dream and the spiritual aspects of the Muslim community since it has been an organized institutional society in Madina after the immigration event (Al Hedjrah). When the Prophet Muhammad establish the first genuine and authentic model of the mosque/institution. Through this archetype, the main features and functions have been determined and manifested in three aspects: worship, socio-cultural/communal and political/legislation aspect.

These features and functions of (mosque/institution) have been changed through the ages. We could punctuate three stages or eras to determine and document these changes. Modernism is that event we consider as a pivotal event globally and locally. In pre Modernism era (almost called traditional) continuity and consistency were the main theme of the (mosque/institution) role. Through the Modern Movement in 19th and 20th centuries, this role has been changed radically and decreased to merely, the worship aspect. Recently, in Post Modern era, many trials and efforts have been achieved throughout the Muslim communities to revive that comprehensive role. In this direction our paper belongs to. The study composed of three sections:

Firstly; An analytical theoretical approach for the religious buildings as a typology.
Secondly; Mosque/institution: immerge and evolution, an analytical study.
Thirdly; Mosque/institution. The Egyptian experience.

The research concludes by a number of guidelines that help reviving and revitalizing the role of the (mosque/institution) as the core of the Muslim community life.